

في ظلال المحبة

عبد الهادي حسن وهبي

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

دار ابن عفان للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

في ظلال المحبة

بسم الله الرحمن الرحيم

في ظلال المحبة

عبد الهادي حسن وهبي

دار ابن عفان للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

دار ابن عفان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الخبر - العقربية
شارع أبو حدرية - تقاطع الشارع العاشر
ص ب : ٢٠٧٤٥ - رمز بريدي ٣١٩٥٢ - الثقبة - ت : ٨٩٨٧٥٠٦

المقـــدّمة

إنّ الحمـد لله نحمده ونستعينـه ونستغفره، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهدي

هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

اعلم رحمك الله بأن **الغاية القصوى والذروة العليا «والمطلب الأسنى والمقصود الأعظم»**[2] أن يحظى العبد بمحبة الله له، ومن أحبه الله «**هانت عليه المشاق وانقلبت عليه المخاوف في حقه أماناً**»[3] و«انقشعت عنه سحائب الظلمات، وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، **وعَمُرَ قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب**»[4].

«ويحفظ الله جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره، من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله»[5].

ويصير مجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى، فإذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، وإذا استعاذ به من شيء أعاذه منه[6].

ويتوجه إليه أهل الملأ الأعلى بالمحبة والموالاة، لأنهم تبع لمولاهم، فإذا أحب عبداً أحبّوه، وإذا والى ولياً والوه، فيحبّه أهل السماء ثم يحبّه أهل الأرض، فيوضع له القبول بينهم، **ويجعل الله**

---

(١) انظر رسالة خطبة الحاجة للمحدث الفاضل محمد ناصرالدين الألباني.
(٢) تحفة الذاكرين (ص: ٣٠٠).
(٣) الجواب الكافي (ص: ٢٢٢).
(٤) طريق الهجرتين (ص: ٢٨٠).
(٥) فتح الباري (١١/٣٤٤) بتصرف يسير.
(٦) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٥) بتصرف.

قلوب أوليائه تفد إليه بالود والمحبة والرحمة[1] والميل إليه والرضا عنه[2].

وناهيك بمن يتوجه إليه مالك الملك ذو الجلال والإكـرام بمحبته ويقبل عليه بأنواع كرامتـه، ويلحظه المـلأ الأعلى وأهل الأرض بالتبجيل والتكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[3].

وبالجملة فمن أحبّه الله «**فقد ظفر بالخير كلّه دقّه وجلّه**»[4].

وكيف يحـظى بمحبـة الله «**مـن عقـله مسـبيٌّ فـي بــلاد الشهوات، وأمله موقوف على اجتناء اللذّات، وسيرته جارية على أسوأ العادات، ودينـه مستهلك بالمعـاصي والمخالفـات، وهمّته واقفة مع السفليات، وعقيدته غير متلقاة من مشكاة النبوة؟!**

فهو في الشهوات منغمس، وفي الشبهـات منتكس، وعن الناصح معرض، وعلى المرشد معترض، وعن السراء نائم، وقلبه في كل واد هائم»[5].

نحن بحاجة إلى حب الله لنا، لأننا في كثيـر من الأحيان تعترضنا مشكلات وقضايا، ونرى تدخّل الشيـطان واضحاً فيهـا، وتضيق نفوسنا، وتقلّ حيلتنا في حلّ هذه القضايا، وأحسب أنّ أضمن وأيسـر طريق لحلّهـا، هو أن تتحقق عـلاقة الحب بيننـا وبين الله، فيتولانا المولى الكريم بحفظه ورعايته.

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ١٨٢).
(٢) فتح الباري (١٠/٤٦٢) بتصرف يسير.
(٣) طريق الهجرتين (ص: ١٨٢ ـ ١٨٣).
(٤) تحفة الذاكرين (ص: ٣٠٠).
(٥) مدارج السالكين (٣/٢٦٧).

فإذا بالمشكلات تنتهي، والقضايا تحلّ، والصدور تنشرح بعد ضيق، والأمور تتيسّر بعد تعقيد.

فبالله يهون كلّ صعب، ويسهل كلّ عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الهموم والغموم والأحزان، فلا همّ مع الله، ولا غمّ ولا حزن[1].

وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، **فمن حصل الله له فعلى أيّ شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟**[2].

فالفرح والسرور: بالظفر بالمحبوب، والهمّ والغمّ والحزن والأسف: بفوات المحبوب. **فأطيب العيش: عيش المحب الواصل إلى محبوبه**[3]، الذي لا قوام لقلبه وروحه وحياته إلا به ولا غنى له عنه طرفة عين، ولا قرة لعينه، ولا طمأنينة لقلبه، ولا سكون لروحه، إلا به. **فهو أحوج إليه من سمعه وبصره وقوته، بل ومن حياته.** فإن حياته بدونه عذاب وآلام، وهموم وأحزان. فحياته موقوفة على قربه وحبه[4].

ما أعظم سعادة الذين يحبهم الله!

ونحن بحاجة إلى وقفة نتبين فيها أين نحن من هذه المنزلة؟ هل نحظى بها فعلاً؟ أم أننا لا نزال في دائرة السعي لكي نرقى إليها؟

---

(١) الجواب الكافي (ص: ٢٢٢).
(٢) طريق الهجرتين (ص: ٢٨٠).
(٣) مدارج السالكين (٣/١٨٨).
(٤) مدارج السالكين (٣/٢٨٦).

هل نحن جادّون في هذا السعي أم مقصرون؟

حول هذه المعاني سيكون حديثنا بعون الله، وبالله التوفيق.

والذي دفعني إلى جمع هذه الرسالة، تذكير نفسي وإخواني العاملين للإسلام بهذه المعاني، عسى أن تترك في نفوسنا أثراً طيباً، يدفعنا إلى توثيق صلتنا بالله.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٢٢٨].

أسأل الله العليّ القدير الهدى والسداد، وحسن الختام، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً للقارىء الكريم، إنه سميع مجيب.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد الهادي حسن وهبي

منزلة المحبة

المحبة «هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شَخَصَ العاملون، وإلى عَلَمِها شمّر السابقون، وعليها تفانى المحبّون، وبروح نسيمها تروّح العابدون.

فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون»[1]، وسرور النفوس، ونور العقول، وعمارة الباطن[2]، و «غاية الأماني، ونهاية الآمال»[3]، وروح الحياة، وحياة الأرواح[4].

وهي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

(١) مدارج السالكين (٦/٣).
(٢) إغاثة اللهفان (١٩٧/٢) بتصرف.
(٣) بدائع الفوائد (٣٢/٣).
(٤) استنشاق نسيم الأنس (ص: ١٧).

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيـه، تحمل أثقـال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم **يكونوا بدونها أبداً واصليها، وتبوؤهم من مقـاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها.**

وهي مطايا القوم، التي مسراهم على ظهـورها دائمـاً إلى الحبيب وطـريقهم الأقوم الـذي يبلغهم إلى منـازلهم الأولى من قريب.

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله ـ يوم قدّر مقاديـر الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ـ: **أن المرء مع من أحب. فيـا لها من نعمة على المحبين سابغة.**

تـالله لقد سبق القـوم السعـاة، وهم على ظهـور الفرش نائمون، وقد تقدّموا الركب بمراحل، وهم في سيرهم واقفون[1].

فرّغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له، وجوارحهم للعمل بما أمروا به، وأوقـاتهم لعمارتهـا بما يعمـر منازلهم في الآخـرة، واستظهروا على سرعة الأجـل بالمبـادرة إلى الأعمال، وسكنـوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها، واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها، واهتمّوا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه، وتزودوا للآخرة على قدر مقامهم فيها، فعجّل لهم سبحانه من نعيم الجنة ورَوْحها أن آنسهم بنفسه وأقبل بقلوبهم إليه وجمعها على محبته وشوّقهم إلى

---

(١) مدارج السالكين (٣/٦ ـ ٧).

لقائه ونعّمهم بقربه وفرّغ قلوبهم مما ملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا والهمّ والحزن على فَوْتها والغم من خوف ذهابها، **فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانهم، والملأ الأعلى بأرواحهم**[1].

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم: حيّ على الفلاح، وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم، تالله لقد حمدوا عند الوصول سُراهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم، وإنما يحمد القوم السّرى عند الصباح.

فحيّلا، إن كنت ذا همّة فقد
حدا بك حادي الشوق فاطوِ المراحلا
وقل لمنادي حبّهم ورضاهم
إذا ما دعا «لبّيك» ألفاً كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن
نظرت إلى الأطلال عُدْنَ حوائلا
ولا تنتظر بالسّير رفقة قاعدٍ
ودعه فإنّ الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زاداً إليهم وسِرْ على
طريق الهدى والفقر تصبح واصلا
وخذ قبساً من نورهم ثمّ سر به
فنورهم يهديك ليس المشاعلا
وخذ يمنة عنها على المنهج الذي
عليه سرى وفد المحبّة آهلا

---

(١) الفوائد (ص: ٢٥٠).

وقـل: ساعـدي،يا نفس بـالصّبر ساعـة
فعنــد اللّقــا ذا الكــدُّ يصبــح زائــلا
فـمــا هي إلا ســاعــة ثـم تـنـقـضـي
ويصبـح ذو الأحزان فـرحـان جـاذلا[1]

تلك والله المكــارم والغنــائم، وفـي ذلــك فليتنــافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وحقيق بمرتبة هذا شأنها، أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها، وتوفـر عليها الأوقـات، وتتوجـه نحوهـا الطلبات.

فنسأل الذي بيده مفاتيـح كلّ خيـر أن يفتح علينـا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنّه وكرمه[2].

(١) مدارج السالكين (٣/٧ - ٨).
(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٥٣ - ٣٥٤).

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

علامات محبة الله للعبد

حب الله لعبد من عبيده، أمر هائل عظيم، وفضل غامر جزيل، لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه.

فمن علامات محبة الله تعالى للعبد:

١ ـ **الحمية عن الدنيا:** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه**»[1].

فيحفظه من متاع الدنيا ويحول بينه وبين نعيمها وشهواتها،

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وفي الباب عن قتادة بن النعمان عند الترمذي (٢٠٣٦) وابن حبان (٢٤٧٤) والحاكم (٣٠٩/٤) وعن محمود بن لبيد عند أحمد.

ويقيه أن يتلوث بزهرتها لئلا يمرض قلبه بها وبمحبتها وممارستها[1].

كيف وهي للكبار مؤذية وللعارفين شاغلة وللمريدين حائلة ولعامة المؤمنين قاطعة والله تعالى لأوليائه ناصر ولهم منها حافظ وإن أرادوها[2].

فالله عز وجل إنما يحميهم لعاقبة محمودة وأحوال سديدة مسعودة[3].

وقلّ أن يقع إعطاء الدنيا وتوسعتها إلا استدراجاً من الله، لا إكراماً ومحبة لمن أعطاه[4].

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج»** ثم تلا:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][5].

٢ ـ حسن التدبير له: فيربيه من الطفولة على أحسن نظام،

---

(١) فيض القدير (٢٤٦/١) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (٢٤٦/١).

(٣) المصدر السابق (٢٦٠/٢).

(٤) عدة الصابرين (ص: ٢٤٦).

(٥) أخرجه أحمد (١٤٥/٤) والطبري في «التفسير» (١٢٤/٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٥).

ويكتب الإيمان في قلبه[1] وينوّر له عقله[2] فيجتبيه لمحبته ويستخلصه لعبادته، ويشغل لسانه بذكره، وجوارحه بخدمته[3]، **فيتبع كل ما يقربه، وينفر عن كل ما يبعد عنه، ثم يتولاه بتيسير أموره، من غير ذل للخلق، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه هماً واحداً، فإن زادت المحبة شغله به عن كل شيء**[4].

٣ ـ **الرفق**: والمراد به «لين الجانب واللطف والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع»[5].

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله إذا أحبَّ أهل بيت أدخل عليهم الرفق**»[6].

٤ ـ **القبول في الأرض**: والمراد به «قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه»[7] والثناء عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحبُّ فلاناً فأَحبَّه، قال: فيحبّه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب**

---

(١) كما في قوله ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب**» أخرجه الحاكم (١/٣٣، ٣٤) عن ابن مسعود وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩).

(٣) الفوائد (ص: ١٢٩) بتصرف.

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩).

(٥) فيض القدير (١/٢٦٣).

(٦) صحيح رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» والضياء. «صحيح الجامع» (١٧٠٠).

(٧) فتح الباري (١٠/٤٦٢).

فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في أهل الأرض»[1].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان صيته في السماء حسناً، وضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئاً وضع في الأرض»**[2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده (وفي رواية: ويحبه) الناس عليه؟ قال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»**[3].

٥ ـ الابتلاء: عن أنس رضي الله عنه قال: قال

---

(١) أخرجه مالك (٣/١٢٨) وأحمد (٢/٢٦٧ و٣٤١ و٤١٣ و٤٨٠ و٥٠٩ و٥١٤) والبخاري (٦/٣٠٣ و١٣/٤٦١) ومسلم (٨/٤٠ ـ ٤١) وفي رواية له عن سهيل بن أبي صالح، قال: «كنا بعرفة، فمرّ عمر بن عبدالعزيز وهو على الموسم، فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبدالعزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، فقال: بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ . . .» ثم ذكر الحديث.
وأخرجه الترمذي (٣١٦١) وزاد في آخره: فذلك قول الله:
﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ [مريم: ٩٦].

(٢) أخرجه البزار (٣٦٠٣ «زوائد») قال في «المجمع» (١٠/٢٧١): «ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٥٦ ـ ١٥٧، ١٦٨) ومسلم (١٦/١٨٩) «نووي» وابن ماجه (٣٤٠٣).
قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق» [شرح مسلم (١٦/٢٨٩)].

رسـول الله ﷺ: «**إن عظم الجـزاء مع عـظم البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قـوماً ابتـلاهم، فمن رضي فله الـرضـا، ومن سخط فله السخط**»[1].

فيبتليهم «بأنواع البلاء حتى يمحصهم من الذنوب[2] ويفرغ قلوبهم من الشغل بالدنيا غيرة منه عليهم أن يقعوا فيما يضرهم في الآخرة. وجميع مـا يبتليهم به من ضنـك المعيشة وكـدر الدنيـا وتسليط أهلها ليشهد صدقهم معه في المجاهدة.

قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠]»[3].

ويأتي هذا الابتلاء في شدَّته على قدر الإيمان.

عن سعـد رضي الله عنه قـال: «قلت يـا رسـول الله: أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب (وفي رواية: قدر) دينه، فإن كان دينه صلباً، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»[4].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «دخلت على النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٣١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو كما قال.

(٢) كما في قوله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**» أخرجه أحمـد (٢٨٧/٢ و ٤٥٠) والترمـذي (٢٣٩٩) والحاكم (٣٤٦/١) عن أبي هريرة بسند حسن.

(٣) فيض القدير (٢٤٦/١).

(٤) أخرجه أحمـد (١٧٢/١ و ١٧٤ و ١٨٠ و ١٨٥) والترمـذي (٢٣٩٨) وابن ماجـه (٤٠٢٣) والدارمي (٣٢٠/٢) والحاكم (٤٠/١ ـ ٤١) وصححه.

وهو يوعك، فوضعت يدي عليه، فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله! ما أشدها عليك! قال: **إنّا كذلك، يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر**. قلت: يا رسول الله! أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: **الأنبياء**، قلت: يا رسول الله! ثم من؟ قال: **ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»(١).

٦ ـ الموت على عمل صالح(٢): عن عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحبّ الله عبداً عسّله**، فقيل: وما عسّله؟ قال: **يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه ـ أو قال ـ من حوله**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤) والحاكم (٤/٣٠٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.
قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: **والحكمة في كون الأنبياء، أشد بلاءً ثم الأمثل فالأمثل أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر ويظهر صبرهم ورضاهم**. [شرح مسلم (١٦/١٢٩)].

(٢) اعلم يا أخي بأنك لا تدري بما يختم لك عند الموت، فعليك أن تسأل الله دائماً حسن الختام.
«**وإيّاك والتسويف بالاستعداد، فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه**» [**مختصر منهاج القاصدين** (ص: ٣١١)].

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٢٤) وابن حبان (١٨٢٢ ـ «موارد») والحاكم (١/٣٤٠) واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي.
العسل: طيب الثناء، مأخوذ من العسل. يقال: عَسَل الطعام يعْسِله: إذا جعل فيه العسل. شبه ما رزقه الله **تعالى** من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذي يجعل في الطعام فيَحْلَوْلَى به ويطيب. [النهاية في غريب الحديث (٣/٢٣٧)].
وقال المنذري في «الترغيب» (٤/٢٥٣): «وقال بعضهم: هذا مثل، أي وفقه الله لعمل صالح يتحفه به كما يتحف الرجل أخاه إذا أطعمه العسل».

﴿وَالّذينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبّاً لله﴾

علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم أن المحبة يدّعيها كل أحد، فما أسهل الدعوى وأعزّ المعنى، فلا ينبغي أن يغترّ الإنسان بتلبيس الشيطان، وخداع النفس إذا ادّعت محبة الله تعالى، ما لم يمتحنها بالعلامات، ويطالبها بالبراهين[1].

والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح.

وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة، دلالة الدخان على النار، ودلالة الثمار على الأشجار، وهي كثيرة.

(فمنها): حب لقاء الله تعالى في الجنّة، فإنه لا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب لقاءه ومشاهدته[2].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩).

وإذا علم أنه لا وصول، إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت، **فينبغي أن يكون محباً للموت غير فارٍّ منه، فإن المحبّ لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى محبوبه ليتنعم بمشاهدته، والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة** .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبّ لقاء الله[1] أحبّ الله لقاءه، ومن كره[2] لقاء الله كره الله لقاءه**»[3].

وهذا لا ينافي كراهة الموت، فإن المؤمن يكره الموت، ولقاء الله بعد الموت. ومن السلف من أحبّ الموت، ومنهم من كرهه، إمّا لضعف محبّته، أو لكونها مشوبة بحبِّ شيء من الدنيا، أو لأنّه يرى ذنوبه فيحب أن يبقى ليتوب.

ومنهم من يرى نفسه في ابتداء مقام المحبّة، فيكره عجلة الموت قبل أن يستعد للقاء الله تعالى[4]، فهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه[5] فارغ القلب عن الشواغل، خفيف الظَهر عن العوائق، فالكراهة بهذا

---

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٣٣٧): «**المطيع لله مستأنس بربه فهو يحب لقاء الله والله يحب لقاءه، والعاصي مستوحش بينه وبين مولاه وحشة الذنوب فهو يكره لقاء ربه ولا بدّ له منه**».

(٢) قال العز بن عبدالسلام رحمه الله في «شجرة المعارف» (ص: ١١١): «**لا يكره لقاء الله إلا من فسدت أحواله وساءت أعماله**».

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣١٦ و٣٢١) ومسلم (٨/٦٥) والترمذي (١٠٦٦ و٢٣٠٩) والدارمي (٢/٣١٢) والنسائي (٣/١٠).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩).

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٨٢).

السبب لا تنافي كمال المحبة، وعلامة هذا: **الدؤوب في العمل، واستغراق الهمّ في الاستعداد**[1]**، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا**[2].

واعلم: أن فراق المحبوب شديد، فإذا أحببت الدنيا، كرهت لقاء الله تعالى، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه، وفراقك لما تحبّه، وكلّ من فارق محبوباً كان أذاه في فراقه بقدر حبّه له وأنسه به، فينبغي أن تحب من لا يفارقك، وهو الله تعالى، ولا تحب الدنيا التي تفارقك[3].

فالمحب الصادق «يذكر الموت دائماً، لأنه موعد لقاء الحبيب، وهو لا ينسى موعد لقاء حبيبه. وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت، ويحبّه ليتخلّص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار ربّ العالمين»[4].

(ومنها): أن يكون أنسه بالخلوة، ومناجاة الله تعالى، وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، فإنّ أقلّ درجات الحب التلذذ بالحبيب والتنعم بمناجاته[5].

فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذّ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته؟ فإن المحب يتلذذ بخدمة محبوبه

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩).
(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٨٢).
(٣) المصدر السابق (ص: ٣٢٠).
(٤) المصدر السابق (ص: ٣٨٢ - ٣٨٣).
(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥٠).

وتصرفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل[1].

فإن اللذة تابعة للمحبة، تقوى بقوتها وتضعُف بضعفها، فكلما كانت الرغبةُ في المحبوب والشوقُ إليه أقوى كانت اللذة بالوصول إليه أتم[2].

ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب طلبه للماء، وكذلك الجائع. وكذلك من أحبّ شيئاً كانت لذته على قدر حبه إياه[3].

ولهذا قال النبي ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[4]، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه، ولا يخرج منه، فإنّ قرة عين العبد نعيمه وطيب حياته به[5].

ومن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرّت

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٢١).

(٢) الفوائد (ص: ٧٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٧).

(٤) قطعة من حديث نصه: «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة».
أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥) والنسائي (٧/ ٦١) والحاكم (٢/ ١٦٠) عن أنس بن مالك وصححه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٤٥).
قال ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين» (ص: ٤٠): «**فقرّة العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحبه، وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها، ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة بالله وحضور بين يديه ومناجاة له واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين وكيف تقرّ عين المحب بسواها؟**».

(٥) طريق الهجرتين (ص: ٣٢١).

عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات[1].

فقرّة عين المحب ولذته ونعيم روحه: في طاعة محبوبه، بخلاف المطيع كرهاً، المتحمل للخدمة ثقلاً، الذي يرى أنه لولا ذل قهره لما أطاع، فهو يتحمل طاعته كالمكره الذي أذله مكرهه وقاهره، **بخلاف المحب الذي يعدّ طاعة محبوبه قوتاً ونعيماً، ولذة وسروراً، فهذا ليس الحامل له ذلّ الإكراه**[2].

بل تكون دواعي قلبه وجواذبه منساقة إلى الله طوعاً ومحبة وإيثاراً، كجريان الماء في منحدره. وهذه حال المحبين الصادقين، فإنّ عبادتهم طوعاً ومحبة ورضى، ففيها قرّة عيونهم، وسرور قلوبهم، ولذة أرواحهم[3].

وبالجملة «فإن ما يفعله المحب الصادق، ويأتي به في خدمة محبوبه: هو أسرّ شيء إليه، وألذّه عنده، ولا يرى ذلك تكليفاً»[4]، **بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه، وسروراً له، وقرة عين في حقه، ونعيماً لروحه، يتلذذ بها، ويتنعم بملابستها أعظم مما يتنعم بملابسة الطعام والشراب، واللذات الجسمانية.**

فإن اللذات الروحانية القلبية أقوى وأتم من اللذات الجسمانية، فلا يجد في أوراد العبادة كلفة، ولا تصير تكليفاً في حقه[5].

---

(١) الوابل الصيب (ص: ٤١).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٣٢٨).
(٣) مدارج السالكين (٢/١٠٢).
(٤) مدارج السالكين (٣/١٦٥).
(٥) المصدر السابق.

فلا شيء ألذ للمحب من خدمة محبوبه وطاعته[1].

وهذه اللذة والتنعم بالخدمة إنما تحصل بـالمصابـرة على التكره والتعب أولاً، فإذا صبر عليه وصدق في صبره أفضى به إلى هذه اللذة[2].

ولا يزال السالك عرضة للآفات والفتور والانتكـاس حتى يصل إلى هذه الحالة، فحينئذٍ يصير نعيمه في سيره، ولذته في اجتهاده، وعذابه في فتوره ووقوفه، فترى أشدّ الأشياء عليه ضياع شيء من وقته ووقوفه عن سيره، ولا سبيل إلى هذا إلا بالحب المزعج[3].

فليزن العبد إيمانه ومحبته لله بهذا الميزان. ولينظر هل هو ملتذ بخدمة محبوبه، أو متكره لها يأتي بها على السآمة والملل والكراهة؟[4].

فهذا محل إيمان العبد ومحبته لله[5].

فـإذاً علامة المحبة، كمال الأنس بمناجاة المحبوب، وكمال التنعم بـالخلوة، وكمـال الاستيحـاش من كـل مـا ينقض عليـه الخلوة.

ومتى غلب الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم، بل يستغرق الحب والأنس قلبه[6].

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٢١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣٢١).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١).

(ومنها): أن يكون صابراً على المكاره: «والصبر من آكد المنازل في طريق المحبة، وألزمها للمحبين: **وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة، وهو من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبينها، وحاجة المحب إليه ضرورية**».

فإن قيل: كيف تكون حاجة المحب إليه ضرورية، مع منافاته لكمال المحبة، فإنه لا يكون إلا مع منازعات النفس لمراد المحبوب؟

قيل: هذه هي النكتة التي لأجلها كان من آكد المنازل في طريق المحبة وأعلقها بها. وبه يعلم صحيح المحبة من معلولها، وصادقها من كاذبها، **فإنّ بقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يعلم صحة محبته**.

ومن هنا كانت محبة أكثر الناس كاذبة، لأنهم كلهم ادعوا محبة الله تعالى، فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن حقيقة المحبة **ولم يثبت معه إلا الصابرون**. فلولا تحمّل المشاق، وتجشّم المكاره بالصبر: لما ثبتت صحة محبتهم، **وقد تبيّن بذلك أنّ أعظمهم محبة أشدّهم صبراً**.

ولهذا وصف الله تعالى بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه، فقال عن حبيبه أيوب:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ [صٓ: ٤٤].

ثم أثنى عليه فقال: ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾.

وأمر أحبّ الخلق إليه بالصبر لحكمه، وأخبر أن صبره به»[1] وبذلك جميع المصائب تهون، فقال:

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨].

وقال:

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧ - ١٢٨][2].

وأثنى على الصابرين أحسن الثناء[3]، كقوله تعالى:

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقوله:

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وهو كثير في القرآن[4].

وضمن لهم أعظم الجزاء، وجعل أجر غيرهم محسوباً، وأجرهم بغير حساب[5].

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٦٢ - ١٦٣).
(٢) عدة الصابرين (ص: ٢١).
(٣) مدارج السالكين (٢/١٦٣).
(٤) مدارج السالكين (٢/١٥٣).
(٥) المصدر السابق (٢/١٦٣).

كقوله تعالى:
﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾
[النحل: ٩٦].

وقولـه:
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠][1].

وقرن الصبر بمقامات الإسلام والإيمان والإحسان، فجعله قرين اليقين والتوكل والإيمان والأعمال والتقوى[2].

فقرنه بالصلاة، كقوله:
﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً، كقوله:
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود: ١١].

وجعله قرين التقوى، كقوله:
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف: ٩٠].

وجعله قرين الشكر، كقوله:
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥ ولقمان: ٣١ وسبأ: ١٩ والشورى: ٣٣].

وجعله قرين الحق، كقوله:
﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣].

وجعله قرين الرحمة، كقوله:

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٥٣).
(٢) المصدر السابق (٢/١٦٣).

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧].

وجعله قرين اليقين، كقوله:

﴿ لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وجعله قرين الصدق، كقوله:

﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وحسن جزائه[١]، وأخبر أن آياته إنما ينتفع بها أولوا الصبر، وأخبر أن الصبر خير لأهله، وأن الملائكة تسلم عليهم في الجنة بصبرهم[٢].

وهذا يدل على أن الصبر من أجلّ مقامات الإيمـان، وأنّ أخصّ النـاس بالله وأولاهم بـه أشدهم قيـاماً وتحققـاً بـه، وأن الخاصة أحوج إليه من العامة[٣].

والمحب من أصبـر الخلق وإنمـا يضعف الصبـر لضعف المحبة[٤].

(ومنها): أن لا يؤثر عليه شيئاً من المحبوبات، فمن آثر عليه شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض[٥].

---

(١) عدة الصابرين (ص: ١٠٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٦٣).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٢٦٦).

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٣٣٦).

(٥) قال المقدسي رحمه الله في «مختصر منهاج القاصدين» (ص: ١٥٥):
«ومرض القلب خفيّ قد لا يعرفه صاحبه، فلذلك يغفُل عنه، وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه، لأن دواءه مخالفة الهوى، وإن وجد الصبر لم يجد طبيبـاً حاذقـاً يعالجـه، فإنّ الأطبـاء هم العلماء، والمـرض قد استـولى عليهم، =

كما أن المعدة التي تؤثر أكل الطين عن أكل الخبز ـ وقد سقطت عنها شهوة الخبز ـ مريضة[1].

وأيضاً فإنه لما كانت محبة الله وحده هي غاية كمال العبد وسعادته التي لا كمال له ولا سعادة بدونها أصلاً، **وكانت المحبة الصادقة إنما تتحقق بإيثار المحبوب على غيره من محبوبات النفوس**، واحتمال أعظم المشاق في طاعته ومرضاته، فبهذا تتحقق المحبة ويعلم ثبوتها في القلب[2].

(ومنها): أن يكون مؤثراً ما أحبّه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيجتنب اتّباع الهوى. . ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظباً على طاعة الله تعالى، متقرباً إليه بالنوافل[3].

فيترك معصيته محبة له، فإنّ المحب لمن يحب مطيع، وأفضل الترك ترك المحبين، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين.

فبين ترك المحب وطاعته وترك من يخاف العذاب وطاعته بون بعيد[4]. فالطاعة للمحبوب عنوان محبته كما قيل:

تعصي الإلّه وأنت تزعم حبه
هذا محال في القياس بديع

= والطبيب المريض قلّما يلتفت إلى علاجه، فلهذا صار الداء عضالاً، واندرس هذا العلم، وأنكر طب القلوب ومرضها بالكليّة، وأقبل الناس على أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات، فهذه علامة أصل المرض».

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٥٥).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٦).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

(٤) عدة الصابرين (ص: ٧٩).

لـو كـان حبـك صـادقـاً لأطعتـه
إن الـمحـب لـمـن يـحـب مـطيـع[1]

وقال الآخر:

شـرط المحبـة أن تـوافق من تحـب
عـلى مـحـبـتـه بـلا عـصـيـان
فـإذا ادّعـيـت لـه الـمـحـبـة مـع
خـلافـك مـا يحب فـأنت ذو بهتـان[2]

إلا أن العصيان لا ينافي أصل المحبة، إنما يضاد كمالها، ويدل على ذلك حديث نعيمان أنه كان يؤتى به إلى رسول الله ﷺ فيحدّه[3] إلى أن أتى به يوماً، فحدّه، فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى بـه! فقـال رسـول الله ﷺ: «**لا تلعنـه، فـإنـه يحب الله ورسوله**»[4].

فلم تخرجه المعصية عن المحبة، وإنما تخرجه عن كمال المحبة[5].

وسبب ذلك تجردها عن الإجلال والتعظيم[6]، فإذا قـارن المحبة مهابة المحبوب وإجلاله وتعظيمه وشهود عز جلاله وعظيم سلطانـه، انكسرت نفسـه له وذلت لعظمتـه واستكـانت لعـزتـه وتصاغرت لجلاله[7].

---

(١) روضة المحبين (ص: ٢٧٤).
(٢) الهداية لأسباب السعادة (ص: ٩٤).
(٣) أي يقيم عليه الحد.
(٤) أخرجه البخاري (١٢/٧٥).
(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥٠).
(٦) طريق الهجرتين (ص: ٢٧٢).
(٧) المصدر السابق (٢٩٣).

فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده، أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

فالمحب الصادق عليه رقيب من محبوبه يرعى قلبه وجوارحه، وعلامة صدق المحبة شهود هذا الرقيب ودوامه[2].

(ومن العلامات): **أن يكون مستهتراً**[3] **بذكر الله تعالى، لا يفتر عنه لسانه، ولا يخلو عنه قلبه، فإن من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره بالضرورة، ومن ذكر ما يتعلق به**[4].

ولهذا أمر الله سبحانه عباده بذكره على جميع الأحوال، وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون.

فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فعلّامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب.

ومن الذكر الدّال على صدق المحبة سبق ذكر المحبوب إلى قلب المحب ولسانه عند أول يقظة من منامه، وأن يكون ذكره آخر ما ينام عليه[5].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٧٢).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٧١).

(٣) المستهتر بالشيء: المولع به المواظب عليه عن حبٍّ ورغبة فيه. [جامع الأصول (٤/٤٧٦)].

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥٠).

(٥) روضة المحبين (ص: ٢٧٢).

والمحب الصادق إذا ذكر الله خالياً، وجل قلبه وفاضت عيناه من خشية الله.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**[1].

(ومنها): أن يغار لله، «فيغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون، ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون»[2] فهذه غيرة المحب حقاً، والدين كله تحت هذه الغيرة. فأقوى الناس ديناً أعظمهم غيرة[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٤٣٩) والبخاري (٢/١٤٣ و٣/٢٩٣ و١١/٣١٢ و١٢/١١٢) ومسلم (٣/٩٣) والترمذي (٢٣٩١) والنسائي (٨/٢٢٣).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٤).

(٣) روضة المحبين (ص: ٢٨١).

«إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه»[1].

فمحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنه من المحبين.

فكذب من ادّعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمة محبوبه ويسعى في أذاه ومساخطه، ويستهين بحقه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك، بل قلبه بارد.

فكيف يصح لعبد أن يدّعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت، ولا لحقوقه إذا ضيّعت؟[2].

وإذا ترحلت هذه الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة، بل ترحل منه الدين، وإن بقيت فيه آثاره.

وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الحاملة على ذلك، فإن خلت من القلب، لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فإنه إنما يأتي بذلك غيرة منه لربه.

ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى علامة محبته ومحبوبيته الجهاد فقال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٤٣ و٥٢٠ و٥٣٩) والبخاري (٩/٣١٩) ومسلم (٨/١٠١) والترمذي (١١٦٨).

(٢) روضة المحبين (ص: ٢٨١ ـ ٢٨٢).

﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٧][1].

(ومنها): أن يرضى بما يصيبه في سبيل محبوبه[2] لا لحظ وراءه، بل لكونه مراد المحبوب، فيكون ألذّ الأشياء عنده ما فيه رضى محبوبه، ولو كان في ذلك هلاك نفسه[3].

وهذا لا يكون إلا للنفوس المطمئنة، سيّما إن كان ما أصيبت به سببه القيام لله.

فإذا كان ما أصيب به في الله، وفي مرضاته ومحبته: رضيت بما نالها في الله. وهذا شأن كل محب صادق، يرضى بما يناله في رضى محبوبه من المكاره[4].

فمن ادّعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه، وأحب ما يسخطه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقّت إلى محبوبه[5].

والمحب الصادق كما قيل:

من أجلك جعلت خدي أرضاً
للشامت والحسود حتى ترضى

ومن لم يرض بما يصيبه في سبيل محبوبه، فلينزل عن درجة المحبة، وليتأخر فليس من ذا الشأن[6].

---

(١) روضة المحبين (ص: ٢٨٢).
(٢) مدارج السالكين (٢/٣١٩).
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥٧).
(٤) مدارج السالكين (٢/٣١٩).
(٥) زاد المعاد (٤/١٩٤).
(٦) مدارج السالكين (٢/٣١٩).

ولذلك كان الرضى باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين[1]، فإنه طيب النفس بما يجري عليها من المقادير التي هي عين اختيار الله له وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية، وهذا هو الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً وما ذاق طعم الإيمان من لم يحصل له ذلك.

وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحسن اختياره، فكلما كان بذلك أعرف كان به أرضى[2].

(ومن علامة محبة الله): محبة كلامه، وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، فإن من المعلوم أن من أحبّ محبوباً كان كلامه وحديثه أحبّ شيء إليه[3].

فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم[4].

ولهذا لم يكن شيء ألذّ لأهل المحبة من سماع القرآن[5].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، فقرأت النساء حتى إذا بلغت:

---

(١) المصدر السابق (٢/١٧٤).

(٢) الفوائد (ص: ١٢١).

(٣) الجواب الكافي (ص: ٢٨٥) بتصرف.

(٤) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٣).

(٥) روضة المحبين (ص: ٢٧٥).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

قال لي: كف، أو أمسك. فرأيت عيناه تذرفان»[(١)].

وقال النبي ﷺ لأبي موسى: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[(٢)].

(ومنها): أن يكون «منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً، كما قال تعالى:

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه.

فلا يكون عبدالله ومحبّه إلا بين خوف ورجاء»[(٣)].

وقد أخبر تعالى عن خواصّ عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقرّبون بهم إلى الله تعالى: أنّهم كانوا راجين له خائفين منه فقال تعالى:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٠ و٤٣٣) والبخاري (٨/ ٢٥٠ و٩/ ٩٣ و٩٤ و٩٨) ومسلم (٢/ ١٩٥).

قال النووي رحمه الله: «**وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد: منها: استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها. واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه. وفيه تواضع أهل العلم والفضل، ولو مع أتباعهم**» [شرح مسلم للنووي (٦/ ٨٨)].

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٩ و٣٥١ و٣٥٩) والبخاري (٩/ ٩٢) ومسلم (٢/ ١٩٣) والترمذي (٣٨٥٥) والنسائي (٢/ ١٨٠ - ١٨١) وابن ماجه (١٣٤١) والدارمي (٢/ ٤٧٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢١٥ - ٢١٦).

تَحْوِيلًا ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧].

يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني: هم عبادي، يتقرّبون إليّ بطاعتي، ويرجون رحمتي ويخافون عذابي، فلماذا تدْعونهم من دوني؟

فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم: من الحب والخوف والرجاء[1].

وعلى حسب المحبة وقوّتها يكون الرجاء، فكل محبّ راجٍ خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحبّ ما يكون إليه، وكذلك خوفه فإنّه يخاف سقوطه من عينه، وطرد محبوبه له وإبعاده، واحتجابه عنه. فخوفه أشدّ خوف، ورجاؤه ذاتي للمحبة، فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه.

فإذا لقيه ووصل إليه اشتدّ الرجاء له، لما يحصل له به من حياة روحه، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبرّه وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضى، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب، ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه، فرجاؤه أعظم رجاء وأجلّه وأتمّه.

فتأمّل هذا الموضع حق التأمّل يُطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة. **فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف**

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤١ ـ ٤٢).

والرجاء، وعلى قدر تمكّنها من قلب المحب يشتدّ خوفه ورجاؤه[1].

فما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته[2]. وهذه الثلاثة: ـ الحب والخوف والرجاء ـ، هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الأولى لصاحبه والأنفع له، وهي أساس السلوك، والسير إلى الله.

وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية وعليها دارت رحى الأعمال[3]. فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يُرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضَعُفَ إيمانه بحسبه[4].

(ومنها): أن يتأسّف على ما يفوته من ذكر الله تعالى[5]، فترى أشدّ الأشياء عليه ضياع شيء من وقته[6].

فإذا فاته وِرده وجد لفواته ألماً[7] أعظم من تألم الحريص

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٢ ـ ٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٣٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).
قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٥١٧): «القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر. فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران. ومتى قطع الرأس مات الطائر. ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد كاسر».

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١).

(٦) طريق الهجرتين (ص: ٣٢١).

(٧) قال ابن القيّم رحمه الله في «الجواب الكافي» (ص: ٢٣٥): «وكلما كان وجود الشيء أنفع للعبد وهو إليه أحوج كان تألمه بفقده أشد، وكلما كان عدمه أنفع له =

بفوات ماله وفقده[1]، وبادر إلى قضائه في أقرب وقت، كما كان يفعل الصادق المصدوق ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة[2].

وإنما يفعل المحب الصادق ذلك، لأنه «إذا اعتاد الملازمة عليه لم يعرّضه للتفويت، وإذا تساهل في قضائه سهل عليه تضييعه في وقته»[3].

(ومنها): أن يكون شفيقاً على جميع عباد الله، رحيماً بهم[4] شديداً على أعدائه، كما قال تعالى:

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصرفه عن الغضب له صارف[5].

(ومنها): أن يستقل في حق محبوبه جميع أعماله وأحواله وأقواله، فلا يراها قط إلا بعين النقص والإزراء عليها. ويرى

= كان تألمه بوجوده أشد. ولا شيء على الإطلاق أنفع للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره، وتنعمه بحبه، وإيثاره لمرضاته؛ بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك، فعدمه آلم شيء له وأشده عليه».

(١) إغاثة اللهفان (١/٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦/١٠٩) ومسلم (٢/١٧١).

(٣) الأذكار (ص: ٩) بتصرف.

(٤) هكذا ينبغي أن يتعامل العاملون للإسلام مع بعضهم البعض، لا أن يتبعوا أسلوب الطعن والشتم والافتراء نسأل الله العافية.

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١).

شأن محبوبه أعظم، وقدره أعلى من أن يرضى نفسه وأعماله له. فهو أشد شيء احتقاراً لها، وإزراء عليها. وإذا غفل عن مراد محبوبه منه، ولم يوفه حقه، تاب إليه من ذلك توبة أرباب الكبائر منها. فالتوبة لا تفارقه أبداً. وتوبته لون وتوبة غيره لون ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. وكلما ازداد حباً له ازداد معرفة بحقه، وشهوداً لتقصيره. فعظمت بذلك توبته. ولذلك كان خوفه أشد وإزراؤه على نفسه أعظم.

وبالجملة: توبة المحب الصادق العارف بربه وبحقه: هي التوبة وسواه محجوب عنها[١].

فهذه علامات المحبة، فمن اجتمعت فيه فقد تمت محبته، وصفا في الآخرة شرابه[٢].

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٦٨ - ٢٦٩) بتصرف.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١).

الأسباب الجالبة لمحبة الله

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر[١] والتفهم لمعانيه وما أريد به[٢]:

قال الله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال سبحانه:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

هذا هو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وذلك بأن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يقرأ، ويتجاوب مع كل آية بمشاعره وعواطفه دعاء واستغفاراً ورحمة وعذاباً[٣].

عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات

---

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «اختيار الأولى» (ص: ١١٤): **«من أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن وخصوصاً مع التدبر»**.

(٢) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص: ١٩٢).

ليلة، فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوذ[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **أن النبي ﷺ كان إذا قرأ** ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] ، **قال** : «**سبحان ربي الأعلى**»[2].

فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، **فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين. وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله.**

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها.

فإذا قرأه بتفكر حتى مرّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كررها ولو مائة مرة ولو ليلة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٦/٢) والنسائي (١٧٦/٢ ـ ١٧٧) و(٢٢٥/٣ ـ ٢٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢/١) وأبو داود (٨٨٣) والحاكم (٢٦٤/١) وصححه ووافقه الذهبي رحمه الله.

فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح[1].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية، والآية:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة : ١١٨][2].

وقال الحسن البصري: «**أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً**».

فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب[3].

ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم[4].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لله أهلين من الناس» قالوا: يا رسول الله! من هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته»**[5].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٤٩) والنسائي (٢/١٧٧) وابن ماجه (١٣٥٠) وابن خزيمة (١/٢٧١) والحاكم (١/٢٤١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).

(٤) زاد المعاد (١/٣٣٨).

(٥) أخرجه أحمد (٣/١٢٧ و١٢٨ و٢٦١) وابن ماجه (٢١٥) والدارمي (٢/٤٣٣) والحاكم (١/٥٥٦) بسند صحيح.

أهـل الـقـرآن أئمـة بـهـم اهـتـدى
أهـل الـسلوك إلى رضـا الـجـبـار
لـكن عـليـهـم أن يـقـومـوا بـالـذي
فـيـه مـن الـمـشـروع لـلأبـرار
صـدق وإخـلاص وحـسـن عـبـادة
وقـيـام لـيـل مـع صـيـام نـهـار
وتـورع وتـزهـد وتـعـفـف
وتـشـبـه بـخـلائـق الأخـيـار
وديـانـة وصـيـانـة وأمـانـة
وتـجـنـب لـخـلائـق الأشـرار
وأداء فـرض واجـتـنـاب مـحـارم
وإدامـة الأوراد والأذكـار
يـا حـامـل القـرآن إن تـك هكـذا
فـلك الـهـنـا بـفـوز عـقـب الـدار
ومتى أضـعـت حـدوده لـم تـنـتـفـع
بـحـروفـه وسـكـنـت دار بـوار[1]

وإنني أذكّر العاملين للإسلام بالآثار التالية الدّالة على كيفية تعامل السلف مع القرآن الكريم لعلهم يتذكرون.

أ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهنّ**»[2].

(١) التذكرة في الوعظ (ص: ٨١ ـ ٨٢).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧) بسند حسن.

ب ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة، الصلاة، ثم يتلو هذه الآية:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢][1].

جـ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبّ أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيّب.

قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله...»[2].

د ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ـ وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر

---

(١) أخرجه مالك (١/١٤٠ ـ ١٤١) بسند صحيح.
(٢) أخرجه مالك (٣/١٥٦ ـ ١٥٧) والبخاري (٣/٣٢٥ و٤/٤٩٣ و٥/٧ و٨/٢٢٣ و١٠/٧٤) ومسلم (٣/٧٩).

ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً ـ فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل[1]، وما تحكم بالعدل. فغضب عمر حتى همّ بأن يقع به، فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله»[2].

فلنحسن تعاملنا مع القرآن الكريم، فنحل حلاله ونحرّم حرامه، ونفعل ما أمر به، وننتهي عما نهى عنه، ونعتبر بأمثاله وقصصه، ونعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه ونقول: «آمنا به كل من عند ربنا».

ولنحذر أن تشغلنا مخارج الحروف[3] وأحكام التلاوة عن

---

(١) أي الكثير.

(٢) أخرجه البخاري (٨/٣٠٤ـ٣٠٥ و١٣/٢٥٠).

(٣) اعلم رحمك الله بأنه يوجد في لبنان **فرقة تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال الواحد منهم يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته**، لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره. **وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام** ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس السلطان وأمر أن يؤديها =

التدبر والتفهم فينصرف كل الاهتمام إليها دون المعنى والتـأثير. ولنداوم على تلاوة القرآن ولا نهجره كي يتجدد الزاد ولتدم صلتنا بالله عن طريق تلاوة كلامه[1].

= على وجهها، فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى، وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة مراعاة حرمة المجلس، فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل.

وقال ابن الجوزي رحمه الله في «تلبيس إبليس» (ص: ١٦٢): «وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة. وتارةً يلبس عليه في تحقيق التشديد، وتارةً في إخراج ضاد المغضوب. ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده. وإنمـا المراد تحقيق الحـرف فحسب وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة وكـل هذه الوساوس من إبليس».

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: ٢٧].

(١) زاد على الطريق (ص: ٣١ ـ ٣٢).

٢ ـ التقـرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها تـوصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة[١].

عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً[٢] فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّـه، فإذا أحببتـه كنت سمعه الـذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[٣].

فتضمن هذا الحديث الشريف الإلّهي حصر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه والتقرب إليه بالنوافل. وأخبر سبحانه أن

---

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأولياء الله الذين هم أولياؤه: هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى:
﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٢].
فقد أخبر تعالى أن أولياءه هم المؤمنون المتقون، وقد بيّن المتقين في قوله:
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغـرب ولكن البر من آمن بـالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البـأس أولئك الـذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة: ١٧٦].
[مجموع الفتاوى (٤١٦/٣)].
والتقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله، وأن يتـرك معصيـة الله على نـور من الله يخـاف عـذاب الله، ولا يتقـرب وليّ الله إلا بـأداء فرائضه، ثم بأداء نوافله [مجموع الفتاوى (٤٣٣/١٠)].
فكل من آمن بالله ورسوله واتقى فهو من أولياء الله» [مجموع الفتاوى (١٧/٣)].

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

أداء فرائضه أحبّ ما يتقرب إليه المتقربون ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً لله، فإذا صار محبوباً لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه[1]، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه[2].

فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذٍ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله وإن سمع سمع به وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[3].

قال الحافظ رحمه الله: «وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقرّ لعين العبد منها، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه، ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته، وإنما

(١) الجواب الكافي (ص: ٢١٩).
(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٤).
(٣) المصدر السابق (ص: ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإنّ السالك غرض الآفات والفتور»[1].

تقرّب إلى الله يا أخي ما استطعت بالنوافل ومن أفضلها قيام الليل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**[2].

---

(١) فتح الباري (١١/٣٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٠٣ و٣٢٩ و٣٤٢ و٣٤٤ و٥٣٥) ومسلم (٣/١٦٩) وأبو داود (٢٤٢٩) والنسائي (١/٢٤٠) والترمذي (٤٣٨) والدارمي (١/٣٤٦ و٢/٢١-٢٢).

٣ ـ دوام ذكره على كل حال[1]: باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر[2].

ولهذا أمر سبحانه بكثرة ذكره في القرآن وجعله سبباً للفلاح فقال تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقـــال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١][3].

وأثنى على أهله، وأخبر بما أكّد لهم من الجنة والمغفرة فقال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأخبر عن خسران من لها عنه بغيره فقال تعالى:

---

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «اختيـار الأولى» (ص: ١١٥): «من الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان».

(٢) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٣) جلاء الأفهام (ص: ٢٥٠).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وجعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له فقال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وأخبر أنه أكبر من كل شيء فقال تعالى:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وجعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما كان مفتاحها، فختم به عمل الصيام بقوله:

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وختم به الحج في قوله:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وختم به الصلاة كقوله:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٠٣].

وختم به الجمعة كقوله:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وأخبر عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم.

فقال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١][(١)].

وجعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح.

فإنه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه، بل هو روح الحج ولبه ومقصوده.

وقرنه بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥][(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٢٥ - ٤٢٧) بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٢٧) بتصرف.

إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[1].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: **«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله»**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جمدان، فقال: **«سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون[4] قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»**[5].

والمقصود: **أنّ دوام الذكر سبب لدوام المحبة[6] التي هي روح الإسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة.**

وقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١ و ٣٥٤ و ٤٠٥ و ٤١٣ و ٤٨٠ و ٤٨٢) والبخاري (١٣/ ٣٨٤) ومسلم (٥/ ٢٦٧) والترمذي (٣٦٠٣) وابن ماجه (٣٨٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) والبخاري (١٣/ ٤٩٩) تعليقاً وابن ماجه (٣٧٩٢) وابن حبان (٢٣١٦) «موارد» والحاكم (١/ ٤٩٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٧) والترمذي (٣٣٧٧) وابن ماجه (٣٧٩٠) والحاكم (١/ ٤٩٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) المفردون: الذين تفردوا بذكر الله تعالى [جامع الأصول (٤/ ٤٧٦)].

(٥) أخرجه مسلم (٨/ ٦٣).

(٦) جلاء الأفهام (ص: ٢٥٠).

الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل، فليلهج بذكره، فإنه الدرس والمذاكرة، كما أنه باب العلم.

فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم(١).

فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك، لا حياة له إلا به(٢).

وهو أنواع: ذكرُه بأسمائه، وصفاته، والثناء عليه بها.

الثاني: تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله وتمجيده، وهو الغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين.

الثالث: ذكرُه بأحكامه وأوامره ونواهيه، وهو ذكر أهل العلم، بل الأنواع الثلاثة هي ذكرهم لربهم.

ومن أفضل ذكرِه ذكرُه بكلامه قال تعالى:
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

فذكرُه هنا كلامه الذي أنزله على رسوله.

وقال تعالى:
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن ذكرِه سبحانه دعاؤه واستغفاره والتضرع إليه.

---

(١) الوابل الصيب (ص: ٨٤).
(٢) انظر ما كتبه العلّامة الرباني ابن القيم رحمه الله حول فوائد ذكر الله في كتابه المستطاب: الوابل الصيب.

فهذه خمسة أنواع من الذكر[1].

وأفضل الذكر وأنفعه، ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده[2].

وننصح الأخ المسلم أن يحفظ الأذكار المأثورة، ويـواظب عليها يومياً إذا أراد أن يحظى بمحبة الله.

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ٢٥٠ ـ ٢٥١).
(٢) الفوائد (ص: ٢٤٧).

٤ ـ إيثار محابّه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى(١).

وعلامة هذا الإيثار شيئان: **أحدهما**: فعل ما يحب الله إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه.

والثاني: ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه.

فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار، ومؤنة هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع، فالمحنة فيه عظيمة، والمؤنة فيه شديدة، والنفس عنه ضعيفة، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

فحقيق بالعبد أن يسمو إليه وإن صعب المرتقى، وأن يشمّر إليه وإن عظمت فيه المحنة، ويحمل فيه خطراً يسيراً لملك عظيم وفوز كبير، فإن ثمرة هذا في العاجل والآجل ليست تشبه ثمرة شيء من الأعمال، ويسير منه يرقي العبد ويسيّره ما لا يرقى غيره إليه في المدد المتطاولة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، **ولا تتحقق المحبة إلا بهذا الإيثار**(٢).

قال ابن القيّم رحمه الله: **ما ابتلى الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها إلا ليسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفع وأدوم، وليجاهد نفسه على تركها له سبحانه فتورثه تلك المجاهدة الوصول إلى المحبوب الأعلى**. فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدّت إرادته لها

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).
(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٠١).

وشـوقه إليهـا، صرف ذلـك الشوق والإرادة والمحبـة إلى النوع العالي الدائم، فكان طلبه له أشدّ وحـرصه عليـه أتمّ، بخلاف النفس الباردة الخالية من ذلك، فإنها وإن كانت طالبة للأعلى لكن بين الطلبين فرق عظيم. **ألا ترى أن من مشى إلى محبوبه على الجمر والشوك أعظم ممن مشى إليه راكباً على النجائب!**[1].

فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها إلى غيره. **فهو سبحانه يبتلي عبده بالشهوات، إما حجاباً له عنه، أو حاجباً له يوصله إلى رضاه وقربه وكرامته**[2].

---

(١) نجائب الإبل: خيارها.

(٢) الفوائد (ص: ١٤٤ ـ ١٤٥).

٥ ـ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته[١].

فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، **ولا أحد أعظم إحساناً من الله سبحانه**، فإن إحسانه على عبده في كل نفَس ولحظة، وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله، ولا سبيل له إلى ضبط أجناس هذا الإحسان فضلاً عن أنواعه أو عن أفراده، ويكفي أن من بعض أنواعه نعمة النفس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة فيه أربعة وعشرون ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفس وكل نفس نعمة منه سبحانه، فإذا كان أدنى نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرين ألف نعمة فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: **٣٤** والنحل: **١٨**].

هذا إلى ما يصرف عنه من المضرات، وأنواع الأذى التي تقصده، ولعلها توازن النعم في الكثرة، والعبد لا شعور له بأكثرها أصلاً والله سبحانه يكلؤه[٢] منها بالليل والنهار كما قال تعالى:

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: **٤٢**][٣].

فهو سبحانه منعم عليهم بكلاءتهم وحفظهم وحراستهم مما يؤذيهم بالليل والنهار وحده لا حافظ لهم غيره. هذا مع غناه التام

---

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).
(٢) في الأصل يكثره والصواب ما أثبته.
(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣١٥).

عنهم وفقرهم التام إليه سبحانه وتعالى، فإنه غني عن خلقه من كل وجه وهم فقراء محتاجون إليه من كل وجه.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**»[1].

ولو لم يكن من تحببه إلى عباده وإحسانه إليهم وبرّه بهم إلا أنه خلق لهم ما في السموات والأرض، وما في الدنيا والآخرة، ثم أهّلهم وكرّمهم، وأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وشرع لهم شرائعه، وأذن لهم في مناجاته كل وقت أرادوا، وكتب لهم بكل حسنة يعملونها عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وكتب لهم بالسيئة واحدة، فإن تابوا منها محاها وأثبت مكانها حسنة، وإذا بلغت ذنوب أحدهم عنان السماء ثم استغفره غفر له، ولو لقيه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه بالتوحيد لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفرة.

وشرع لهم **التوبة** الهادمة للذنوب فوفقهم لفعلها ثم قبلها منهم، وشرع لهم **الحج** الذي يهدم ما قبله فوفقهم لفعله وكفّر عنهم سيئاتهم به، وكذلك ما شرعه لهم من **الطاعات والقربات**، وهو الذي أمرهم بها وخلقها لهم، وأعطاهم إياها ورتب عليها جزاءها، فمنه السبب ومنه الجزاء، ومنه التوفيق ومنه العطاء أولاً وآخراً وهم محل إحسانه فقط ليس منهم شيء إنما الفضل كله

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠١ و٤٠٥) والبخاري (١٠/٥١١ و١٣/٣٦٠) ومسلم (٨/١٣٣ - ١٣٤).

والنعمة كلها والإحسان كله منه أولاً وآخراً، أعطى عبده ماله وقال: «تقرّب بهذا إليّ أقبله منك».

فالعبد له والمال له والثواب منه، فهو المعطي أولاً وآخراً، فكيف لا يُحَبُّ من هذا شأنه؟

وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئاً من محبته إلى غيره؟ ومن أولى بالحمد والثناء والمحبة منه؟

ومن أولى بالكرم والجود والإحسان منه؟ فسبحانه وبحمده لا إلّه إلا هو العزيز الحكيم.

ويفرح سبحانه وتعالى بتوبة أحدهم إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله، ويكفّر عنه ذنوبه، ويوجب له محبته بالتوبة، وهو الذي ألهمه إيّاها ووفقه لها وأعانه عليها[1].

وملأ سبحانه وتعالى سمواته من ملائكته، واستعملهم في الاستغفار لأهل الأرض، واستعمل حملة العرش منهم في الدعاء لعباده المؤمنين والاستغفار لذنوبهم ووقايتهم عذاب الجحيم، والشفاعة إليه بإذنه أن يدخلهم جناته.

فانظر إلى هذه العناية وهذا الإحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب إلى العباد واللطف التام بهم، ومع هذا كله بعد أن أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وتعرّف إليهم بأسمائه وصفاته وآلائه، ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يسأل عنهم ويستعرض حوائجهم بنفسه ويدعوهم إلى سؤاله، فيدعو مسيئهم إلى التوبة، ومريضهم إلى أن يسأله أن يشفيه وفقيرهم إلى أن يسأله غناه وذا

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣١٥ - ٣١٧).

حاجتهم يسأله قضاءها كل ليلة، ويدعوهم إلى التوبة وقد حاربوه، وعذّبوا أولياءه وأحرقوهم بالنار.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

وقال بعض السلف: انظروا إلى كرمه كيف عذبوا أولياءه وحرقوهم بالنار، ثم هو يدعوهم إلى التوبة[١].

ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده تأهيله لمحبته ومعرفته، وإرادة وجهه، ومتابعة حبيبه[٢].

فهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبته سبحانه وتعالى، فإن نعمته على عباده مشهودة لهم، يتقلبون فيها على عدد الأنفاس واللحظات.

فهذه محبة تنشأ من مطالعة المنن والإحسان ورؤية النعم والآلاء[٣]، فبقدر مطالعته ذلك تكون قوة المحبة[٤].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣١٥ - ٣١٧).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٥٢٣).
(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣١٧).
(٤) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٥٢٣).

٦ ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبّه لا محالة[١].

وهذا الباب «إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، وهو باب المحبين حقاً الذي لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، كلما بدا له منه علم ازداد شوقاً ومحبة وظمأ.

فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة مَن هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها وأشدها نقصاً وأبعدها من كل خير.

فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحساناً منه سبحانه وتعالى، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه سبحانه وتعالى، وهو الذي لا يحد كماله، ولا يوصف جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على نفسه.

وإذا كان الكمال محبوباً لذاته ونفسه وجب أن يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته، إذ لا شيء أكمل منه، وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته تستدعي محبة خاصة.

فإن أسماءه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها»[٢].

---

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣١٧ ـ ٣١٨).

فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما أمر، إذ ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه، وكلامه كله صدق وعدل، وجزاؤه كله فضل وعدل..

فإنه إن أعطى فبفضله ورحمته ونعمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته.

ما للعباد عليه حق واجب
كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذّبوا فبعدله، أو نعموا
فبفضله، وهو الكريم الواسع

ولا يتصور نشر هذا المقام حق تصوره فضلاً عن أن يوفاه حقه، فأعرف خلقه به وأحبهم له ﷺ يقول(1): **«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**(2).

فلا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه البتة، وله أسماء وأوصاف حمد وثناء لا يعلمه ملك مقرّب ولا نبي مرسل ونسبة ما

---

(1) أخرجه مالك (١/٢١٦) وأحمد (٦/٥٨ و٢٠١) ومسلم (٢/٥٠) والنسائي (٢/٢٢٢) وابن ماجه (٣٨٤١) والترمذي (٣٤٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

(2) طريق الهجرتين (ص: ٣١٨).

يعلم العباد من ذلك إلى ما لا يعلمونه كنقرة عصفور في البحر[1].

ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة عليها.

وهل مع المحبين محبة إلا من آثار صفات كماله؟

فإنهم لم يروه في هذه الدار وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعه، فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم، فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه وتعالى لكان لهم في حبه شأن آخر، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته، والعلم به، فأعرفهم بالله أشدهم حباً له.

ولهذا كانت رسله أعظم الناس حباً له، والخليلان من بينهم أعظمهم حباً وأعرف الأمة أشدهم له حباً[2].

وإنما تظهر هذه المحبة من مطالعة الصفات، بإثباتها أولاً، ومعرفتها ثانياً، ونفي التحريف والتعطيل عن نصوصها ثالثاً، ونفي التمثيل والتكييف عن معانيها رابعاً.

فلا يصح له مطالعة الصفات الباعثة على المحبة الصحيحة إلا بهذه الأمور الأربعة.

وكلما أكثر قلبُه من مطالعتها، ومعرفة معانيها: ازدادت

(١) طريق الهجرتين (ص: ١٣٦).
(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣١٨).

محبته للموصوف بها[1]، ومحبته لطاعته وحصلت له لـذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك[2].

وكل لذة ونعيم وسرور وبهجة بالإضافة إلى ذلك كقطرة في بحر، فكيف يؤثر من له عقل لذة ضعيفة قصيرة مشوبة بالآلام على لذة عظيمة دائمة أبد الآباد؟!

وكمال العبد بحسب هاتين القوتين: العلم والحب، وأفضل العلم العلم بالله، وأعلى الحب الحب له، وأكمل اللذة بحسبهما والله المستعان[3].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٥٢٤).

(٢) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (ص: ٥٠).

(٣) الفوائد (ص: ٧٠).

٧ ـ وهو من أعجبها: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات[١].

فليس شيء أحب إلى الله من هذه الكسرة والخضوع والتذلل، والإخبات، والانطراح بين يديه، والاستسلام له[٢].

فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه!

وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه وذرة من هذا ونفس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم.

وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة وملكته هذه الذلة[٣].

فإن الله سبحانه يحب من عبده أن يكمل مقام الذل له وهذه هي حقيقة العبودية، واشتقاقها يدل على ذلك. فإن العرب تقول: طريق معبد أي مذلل بوطء الأقدام.

والذل أنواع: **أكملها ذل المحب لمحبوبه**[٤].

الثاني: ذل المملوك لمالكه.

---

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص: ١٢٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٢٨).

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٢٣٤).

الثالث: ذل الجاني بين يدي المنعم عليه المحسن إليه المالك له.

الرابع: ذل العاجز عن جميع مصالحه وحاجاته بين يدي القادر عليها التي هي في يده وبأمره فإن المحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته يكون ذله، فالمحبة أسست على الذلة للمحبوب[1].

وتحت هذا قسمان:

أحدهما: ذل له في أن يجلب له ما ينفعه.

والثاني: ذل له في أن يدفع عنه ما يضره على الدوام، ويدخل في هذا ذل المصائب كالفقر والمرض وأنواع البلاء والمحن.

فهذه خمسة أنواع من الذل إذا وفاها العبد حقها وشهدها كما ينبغي وعرف ما يراد به منه وقام بين يدي ربه مستصحباً لها شاهداً لذله من كل وجه ولعزة ربه وعظمته وجلاله، كان قليل أعماله قائماً مقام الكثير من أعمال غيره[2].

فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وإرادات التقرب إليه وإلى مرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات، مكان حركاتها بالمعاصي.

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٠٧).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٢٣٤).

قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج لسانه بذكره، وانقادت الجوارح لطاعته[1].

والقصد: أن هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله وترميه على طريق المحبة، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق، وإن كانت طرق سائر الأعمال والطاعات تفتح للعبد أبواباً من المحبة، لكن الذي يُفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس، ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم، بحيث يشاهدها ضيعة وعجزاً، وتفريطاً وذنباً وخطيئة: نوع آخر وفتح آخر[2].

فلا ينال رضا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالدنو منه والزلفى لديه إلا على جسر من الذلة والمسكنة وعلى هذا قام أمر المحبة فلا سبيل إلى الوصول إلى المحبوب إلا بذلك[3].

والسالك بهذه الطريق غريب في الناس، وهم في واد، وهو في واد، فالله المستعان وهو خير الغافرين[4].

---

(١) و(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٢٤).

(٤) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٢٣٠).

٨ ـ الخلوة بـه وقت النزول الإلَهي[1]، لمنـاجاتـه وتلاوة

(١) كما في قوله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فـأعطيـه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».
أخرجه مالك (١/٢١٤) وأحمـد (٢/٢٥٨ و٢٦٤ و٢٦٧ و٢٨٢ و٤١٩ و٤٣٣ و٤٨٧ و٥٠٩ و٥٢١) والبخاري (١٣/٤٦٤) ومسلم (٢/١٧٥) وأبو داود (٣١٥) والترمذي (٣٤٩٨) وابن ماجه (١٣٦٦) والدارمي (١/٣٤٧) وأبو عوانة (٢/٢٨٩) والبيهقي في «السنن» (٣/٢) وفي «الأسمـاء والصفات» (٥٦٥) عن أبي هـريرة رضي الله عنه.
فائدة: النزول صفة من صفات الله تعالى، نؤمن بها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهكذا في سائر الصفات.
قال **شيخ الإسلام** ابن تيمية رحمه الله في **«مجموع الفتاوى»** (٥/٥٧٨): «والذي يجب القطع به أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه. فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطىء قطعاً، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون نزوله تفريغاً لمكان وشغلاً لآخر، **فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه**».
وقال أيضاً في «مجموع الفتاوى» (١١/٤٨٢): «فمن قال: **إنّ علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي، أو استواءه على العرش كاستوائي، أو نزولـه كنزولي، أو إتيانه كإتياني، ونحو ذلك فهذا قد شبّه الله ومثّله بخلقه، تعالى الله عمّا يقولون، وهو ضال خبيث مبطل، بل كافر**».
وقال في «مجموع الفتاوى» (٥/٢٦٢): «وكذلك إن جعل صفات الله مثل صفات المخلوقين، فيقول: **استواء الله كاستواء المخلوق، أو نـزوله كنـزول المخلوق، ونحو ذلك، فهذا مبتدع ضال...**».
وإنما أكثرت من هذه النقول، لأن المشتغلين بعلم الكلام يتهمون السلفيين عموماً وابن تيمية خصوصاً بالتجسيم والتشبيه!
أين التشبيه والتجسيم في الكلام المذكور آنفاً؟
وإنني أذكّر هؤلاء بآية كريمة وحديث شريف لعلهم يرجعون.
قال الله تعالى:
﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبـوا فقد احتملوا بهتـاناً وإثمـاً مبيناً﴾ [الأحزاب: ٥٨]. =

كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة[1].

فإنه وقت قسم الغنائم وتفريق الجوائز، فمستقل ومستكثر ومحروم[2].

قال تعالى في حق المحبّين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ[3] جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧][4].

وبيّن أنّ المحافظين على قيام الليل هم المحسنون المستحقّون لخيره ورحمته فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٨].

ومدحهم وأثنى عليهم ونظمهم في جملة عباده الأبرار فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ

= وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج ممّا قال» أخرجه أحمد (٧٠/٢) وأبو داود (٣٥٩٧) والحاكم (٢٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.
قال المنذري في «الترغيب» (٥١٦/٣): «ردغة الخبال: هي عصارة أهل النار كذا جاء مفسراً مرفوعاً».

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٢) تحفة المودود (ص: ١٦٩).

(٣) قال ابن القيّم رحمه الله في «حادي الأرواح» (ص: ١٩٩): «تأمّل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس. وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرّة الأعين في الجنّة».

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٦).

قَالُواْ سَلَٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤].

ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتّصف بوصفهم فقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩][١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبّهم الله، ويضحك[٢] إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإمّا أن يقتل وإمّا أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسنة وفراش ليّن حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام من السحر في ضرّاء وسرّاء»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[٤].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) فقه السنة (١/١٩٩ - ٢٠٠) بتصرف يسير.

(٢) عن نعيم بن عمّار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضحكَ ربّك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه» قال المنذري في «الترغيب» (٢/٣١٩): «رواه أحمد وأبو يعلى، ورواتهما ثقات».

(٣) قال المنذري في «الترغيب»: «رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن».

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٢) و(١١٥٧) ومسلم (٧/١٥٩).

«أتاني جبريل، فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك مجزيٌّ به، واعلم أنّ شرف المؤمن قيامه بالليل[1]، وعزّه استغناؤه عن الناس[2]»[3].

وعن بلال رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات**»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجِيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[5][6].

---

(١) قال المناوي في «الفيض» (٤/ ١٦٠): «الشرف لغة: العلو، وشرف كلّ شيء أعلاه، لمّا وقف في ليله وقت صفاء ذكره متذللاً متخشعاً بين يدي مولاه لائذاً بعز جنابه وحماه شرّفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخواص عباده بعز طاعته على من سواه».

(٢) إنّ هذه الكلمات جامعة حكم الأوّلين والآخرين. وهي كافية للمتأمّلين فيها طول العمر، إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفّت إلى الدنيا بالكليّة.

(٣) قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٤٣١): «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٣) وهو حديث حسن بمجموع طرقه انظرها في «إرواء الغليل» (٤٥٢).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٢٨ - ١٣٠): «هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته. وفيه دليل على أنّ الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة... =

أبعد هذا الترغيب والتشويق نتكاسل!

واعلم يا أخي بأن «قيام الليل صعب إلا من وفق للقيام بشروطه الميسرة له.

فمن الأسباب ظاهر، ومنها باطن.

فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل»[1].

(ومنها): أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

= والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]، وقوله عز وجل: ﴿ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾ [السجدة: ٤]، وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت: ١١] وقوله: ﴿إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢] وقوله تبارك اسمه: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] وقوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦] وقال جل ذكره: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] وهذا من العلو. وكذلك قوله: ﴿العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] و ﴿الكبير المتعال﴾ [الرعد: ٩] و ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥] و ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠].
وقال جل ذكره: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤] وقال لعيسى: ﴿إني متوفيك ورافعك إليّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار﴾ [فصلت: ٣٨] وقال: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿ليس له دافع من الله ذي المعارج﴾ [المعارج: ٢ - ٣]والعروج هو الصعود.
وأما قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم﴾ فمعناه من على السماء يعني على العرش. وقد يكون في بمعنى على. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض. وكذلك قوله: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾».

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٦٧).

(ومنها): أن لا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل.

(ومنها): أن يجتنب الأوزار.

قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته[(١)].

(ومنها): أن يبكر في النوم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ ينام أول الليل، ويقوم آخره فيصلي**»[(٢)].

(ومنها): أن ينام على طهارة ذاكراً لله رب العالمين.

وأما الميسرات الباطنة:

(فمنها): أن ينوي عند نومه قيام الليل: عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل**»[(٣)].

(ومنها): سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

(ومنها): خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

(ومنها): أن يعرف فضل قيام الليل[(٤)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٦٣ و١٠٢ و١٠٩ و٢٥٣) والبخاري (٣/٣٢) ومسلم (٢/١٦٧) والنسائي (٣/٢١٨) وابن ماجه (٣٦٥).

(٣) أخرجه النسائي (٣/٢٥٨) وابن ماجه (١٣٤٤) وابن خزيمة (١١٧٢) والحاكم (١/٣١١) وجوّد إسناده الحافظ المنذري في «الترغيب» (١/٤٠٩).

(٤) انظر فضل قيام الليل في «صحيح الترغيب والترهيب».

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام[1].

فلنحرص على قيام الليل والدعاء والاستغفار بالأسحار الذي «هو آخر أوقات النزول الإلهي المتضمن لاستعراض حوائج السائلين، واستغفار المذنبين، وتوبة التائبين»[2].

قال الله تعالى:

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٧].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: «أقرب ما يكون الربّ من العبد في جوف الليل الآخرِ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فَكُن»[3].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٦٧ - ٦٨).
(٢) المحجّة في سَيْر الدُلجة (ص: ٦٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٧٩) وصححه والنسائي (١/ ٢٧٩ - ٢٨٠) وابن خزيمة (١١٤٧) والحاكم (١/ ٣٠٩) وصححه ووافقه الذهبي.

٩ ــ مجالسة المحبين الصادقين[1]، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك[2].

عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال: «دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى برّاق الثنايا، وإذا الناس معه، إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه، وصدروا عن قوله، فسألت عنه؟ فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجّرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلّمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فأخذ بحبوة ردائي، فجبذني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[3].

---

(١) اعلم رحمك الله بأنّ جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور:
(أحدها): علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه.
(والثاني): قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة.
(والثالث): تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر.

(٢) مدارج السالكين (٣/١٧).

(٣) أخرجه مالك (٣/١٢٩ - ١٣٠) وأحمد (٥/٢٣٣ و٢٤٧) وابن حبان (٢٥١٠ - موارد) والحاكم (٤/١٦٩) وصححه ووافقه الذهبي.
[شرح الغريب]: (برّاق الثنايا) وصف ثناياه بالحسن والصفاء، وأنها تلمع إذا تبسم كالبرق، أراد بذلك: وصف وجهه بالبشر والطلاقة.
(هجّرت) التهجير: المضي في الصلاة في أول وقتها، وهو مثل التبكير، ولا يراد بهما: المضي في الهاجرة، ولا في البكرة [جامع الأصول (٦/٥٥٢)].

فلنحرص على أن تكون مجالسنا ربانية مشتملة على ما يلي:

أ ـ الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس: قال تعالى:

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ب ـ التواصي بالحق والصبر: قال الله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

ج ـ التعاون على الذكر والعلم والاستغفار: قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٤].

وقال تعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا غيره، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد

بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلّ عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: **أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل، فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلمّوا إلى حاجتكم، فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**. قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم -: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: **يسبّحونك ويكبّرونك، ويحمدونك، ويمجّدونك**. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: **لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً**. قال: فيقول: فما يسألون؟ قال: يقولون: **يسألونك الجنة**. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فممّ يتعوذون؟ قالوا: يتعوذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد منها مخافة. قال: فيقول: **أشهدكم أني قد غفرت لهم**. قال: يقول ملك من

(١) أخرجه أحمد (٤/٩٢) ومسلم (١٧/٢٢ - ٢٣ - نووي) والنسائي (٨/٢٤٩).

الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: **هم الجلساء لا يشقى جليسهم»**[1].

وعن الأغر أبي مسلم أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»**[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الغفور مائة مرة»**[3].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد. فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله، فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»**[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥١ - ٢٥٢ و٣٥٨ - ٣٥٩ و٣٨٢ - ٣٨٣) والبخاري (١١/٢٠٨ - ٢٠٩) ومسلم (١٧/١٥ - نووي) والترمذي (٣٦٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٤٧ و٣/٣٣، ٩٢، ٩٤) ومسلم (٨/٧٢) والترمذي (٣٣٧٨) وابن ماجه (٤٧٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢١) والترمذي (٣٤٣٤) وأبو داود (١٥١٦) وابن ماجه (٣٨١٤) بسند صحيح.

(٤) أخرجه مالك (٣/١٣٢ - ١٣٣) والبخاري (١/١٥٦) ومسلم (١٤/ ١٥٨، ١٥٩ - =

ولنترفع في مجالسنا عن اللغو والغيبة والجدل.

قال الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

وقال سبحانه:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»**[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عرج بي ربي عز وجل، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟.**

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[2].

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال

= نووي) والترمذي (٢٧٢٤).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٥٧/١): «وفي الحديث فضل ملازمة حلق العلم والذكر وجلوس العالم والمذكر في المسجد. وفيه الثناء على المستحي، والجلوس حيث ينتهي به المجلس».

وقال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح السعادة» (١٢٣/١): «فلو لم يكن لطالب العلم إلا أن الله يؤويه إليه ولا يعرض عنه لكفى به فضلاً».

(١) أخرجه أحمد (١٩٠/١) وأبو داود (٤٨٧٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٤/٣) وأبو داود (٤٨٧٨) بسند صحيح.

رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته**»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فهبت ريح منتنة، فقال الرسول ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟ **هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**»(٢).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمّه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**»(٣).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّاجَدَلًاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨](٤).

ولنحرص دائماً على الكلمة الطيبة.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ذكر النبي ﷺ النار

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٢٠ - ٤٢١) وأبو داود (٤٨٨٠) وحسنه المنذري في «الترغيب» (٣/٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٥١) والبخاري في «الأدب المفرد» (ص: ١٤٧)، وحسنه المحدث الألباني في «غاية المرام» (٤٢٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «الترغيب» (٣/٥٣) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٣١).

(٤) أخرجه أحمد (٥/٢٥٢ و ٢٥٦) والترمذي (٣٢٥٣) وابن ماجه (٤٥) بسند حسن.

فتعوّذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرار، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**»[1].

فإننا إن فعلنا ذلك أكرمنا الله تعالى بثمرات طيبة في الدنيا والآخرة أجلها وأعظمها محبة الله.

وإذا أحبنا الله تعالى فأي خير لم يحصل لنا؟ وأي شر لم يندفع عنا؟

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٥٨) والبخاري (١٠/٤٤٨ و ١١/٤٠٠ و٤١٧) والنسائي (٥/٧٤ ـ ٧٥) والدارمي (١/٣٩٠).

١٠ ـ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل[١].

ومن أعظم الضر: حجاب القلب عن الرب، وهو أعظم عذاباً من الجحيم، قال تعالى:

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦][٢].

والحجب عشرة: حجاب التعطيل، ونفي حقائق الأسماء والصفات، وهو أغلظها، فلا يتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله، ولا يصل إليه البتة إلا كما يتهيأ للحجر أن يصعد إلى فوق.

الثاني: حجاب الشرك، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله.

الثالث: حجاب البدعة القولية، كحجاب أهل الأهواء، والمقالات الفاسدة على اختلافها.

الرابع: حجاب البدعة العملية، كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم وسلوكهم.

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة، كحجاب أهل الكبر والعجب والرياء والحسد، والفخر والخيلاء ونحوها.

السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة، وحجابهم أرق من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة مع كثرة عباداتهم، وزهاداتهم واجتهاداتهم، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر

(١) مدارج السالكين (٣/١٨).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٥٧٢).

أولئك، فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشون من إظهارها وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة. فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم، وقلوبهم خير من قلوبهم[1].

السابع: **حجاب أهل الصغائر**.

الثامن: **حجاب أهل الفضلات**، والتوسع في المباحات.

التاسع: **حجاب أهل الغفلة** عن استحضار ما خلقوا له وأريد منهم، وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره، وعبوديته.

العاشر: **حجاب المجتهدين السالكين**، المشمّرين في السير عن المقصود[2].

فهذه عشر حجب: تحول بين القلب وبين الله عز وجل «وهذه الحجب تنشأ من أربعة عناصر: عنصر النفس، وعنصر الشيطان، وعنصر الدنيا، وعنصر الهوى»[3].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٥٧٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

١١ ـ متابعة النبي ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه[١].

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها.

فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها: محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية[٢].

فليس الشأن في أن تحب الله، بل الشأن في أن يحبك الله، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً، وصدقته خبراً، وأطعته أمراً، وأجبته دعوة، وآثرته طوعاً...[٣].

ليتأمل القارىء اللبيب الآثار التالية الدالة على حرص الصحابة على التأسي بالنبي ﷺ:

أ ـ عن مجاهد قال: «كنا مع ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ في سفر، فمرّ بمكان، فحاد عنه، فسئل: لم فعلت ذلك؟ قال: **رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا، ففعلت**»[٤].

---

(١) سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ؟ قال: «**إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن**» أخرجه مسلم (٦/٢٦).

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٦/٢٦): «**معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته**».

(٢) مدارج السالكين (٣/٢٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/٣٧).

(٤) أخرجه أحمد والبزار بإسناد جيد كما في «الترغيب» (١/٨٢).

ب ـ عن معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: «قام أبو بكر الصديق على المنبر ثم بكى، فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر، ثم بكى، فقال: **سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية**»(١).

ج ـ عن علي بن ربيعة قال: «**شهدت علياً** ـ وقد أتي بدابته ليركبها ـ فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ثم قال: الحمد لله ـ ثلاث مرات ـ ثم قال: الله أكبر ـ ثلاث مرات ـ ثم قال: سبحانك، إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ممّ ضحكت؟ قال: **رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت، فقلت**: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟.

قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»(٢).

د ـ عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله، فقال: «**إني أعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبّلك ما قبّلتك**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣) والترمذي (٣٥٥٨) وحسنه. راجع شرح الحديث في كتاب «تحفة الذاكرين» للشوكاني.

(٢) أخرجه أحمد (١/٩٧ و١١٥ و١٢٨) وأبو داود (٢٦٠٢) والترمذي (٣٤٤٦) وابن حبان (٢٣٨١ ـ موارد) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (١/٢٦ و٤٦) والبخاري (٣/٤٦٢) ومسلم (٩/١٧ ـ نووي).

هـ ـ عن عبدالرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبة! إني أسمعك تدعو كل غداة: «**اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلّا أنت»، تعيدها ثلاثاً حين تصبح، وثلاثاً حين تمسي؟** فقال: «**إني سمعت** رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحبّ أن أستنّ بسنته، وتقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت»، تعيدها ثلاثاً حين تصبح، وثلاثاً حين تمسي،** فتدعو بهن، فأحبّ أن أستنّ بسنته»[1].

و ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»[2].

قال ابن عمر: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي[3].

هكذا ينبغي أن نتعامل مع أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠) بسند حسن.
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٨) ومسلم (٥/ ٧٠).
(٣) أخرجه مسلم (٥/ ٧٠).

١٢ ـ الزهد في الدنيا:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال: «**ازهد في الدنيا يحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»(١).

الزهد في الدنيا جملة، وليس المراد تخليها من اليد، ولا إخراجها وقعوده صفراً منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية: فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده.

فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك. وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز الذي يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ، حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها(٢).

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء: **(أحدها): علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر، وأنها كما قال الله تعالى فيها:**
﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) والحاكم (٣١٣/٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥٢/٣، ٢٥٣) وفي سنده خالد بن عمرو القرشي قال الحافظ في «التقريب» (٢١٦/١): «رماه ابن معين بالكذب، ونسبه صالح جزرة وغيره إلى الوضع». لكن للحديث طرق أخرى ضعيفة وشاهد مرسل عند أبي نعيم في «الحلية» (٤١/٨) يتقوى بها فيحسن.

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٢).

ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

وسماها سبحانه «متاع الغرور» ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا من مصارعهم، وذمّ من رضي بها واطمأن إليها(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال: «**ما لي وللدنيا ؟! ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»(٢).

فتأمل حسن هذا المثال، ومطابقته للواقع سواء، فإنها في

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠١/١) وابن حبان (٢٥٢٦) والحاكم (٣٠٩/٤ ـ ٣١٠) وصححه ووافقه الذهبي.

خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً كالظل، والعبد مسافر إلى ربه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً ولا يتخذها قراراً، بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومن زاد على ذلك انقطع عن الرفاق[1].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً، فانظر ما يخرج من ابن آدم وإن قزّحه وملّحه[2]، قد علم إلى ما يصير»**[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً، وما بقي منها إلا القليل من القليل، ومثل ما بقي من الدنيا كالثغب - يعني الغدير - شرب صفوه، وبقي كدره»**[4].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»**[5].

---

(١) عدة الصابرين (ص: ٢٧٩).

(٢) [شرح الغريب]: قزَّحه وملَّحه: أي توبله، من القزح وهو التابل الذي يطرح في القدر، كالكمون والكزبرة ونحو ذلك. يقال: قزحت القدر إذا تركت فيها الأبازير.
والمعنى: أن المطعم وإن تكلّف الإنسان التنوق في صنعته وتطييبه فإنه عائد إلى حالٍ يكره ويستقذر فكذلك الدنيا المحروص على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار [النهاية في غريب الحديث (٤/٥٨)].

(٣) حسن رواه ابن حبان والطبراني في «الكبير» صحيح الجامع (٢١٩١).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/٣٢٠) بسند حسن.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) وقال: حديث صحيح غريب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله**[1] **وما والاه، أو عالماً أو متعلّماً**»[2].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفتيه، فمرّ بجدي أسكّ ميّت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: أيكم يحب أنّ هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[3].

فما اغترّ بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية، وعقل حقير، وقدر خسيس[4].

(الثاني): علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً، وأجلّ خطراً وهي دار البقاء، وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما يرجع»[5].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١/ ٤٠): «**فذكره: جميع أنواع طاعته، فكلّ من كان في طاعته فهو ذاكر له، وإن لم يتحرك بالذكر، وكلّ من والاه الله فقد أحبّه وقرّبه، فاللعنة لا تنال ذلك بوجه، وهي نائلة كل ما عداه**».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) وحسنه وابن ماجه (٤١١٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨/ ٩٣ ـ نووي) كنفتيه: أي عن جانبيه. أسك: هو الصغير الأذن [الترغيب (٤/ ١٧٢)].

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٣).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٩) ومسلم (٨/ ١٥٦) والترمذي (٢٣٢٣) وابن ماجه (٤١٠٨) عن المستورد بن شداد. =

فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل قيل له: اطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلاً، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها[1].

(الثالث): **معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها.**

فإنه متى تيقن ذلك وثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك.

فهذه الأمور الثلاثة تسهّل على العبد الزهد فيها، وتثبت قدمه في مقامه، والله الموفّق لمن يشاء[2].

وللزاهد ثلاث علامات:

(الأولى): أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى:

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[الحديد: ٢٣].

(الثانية): أن يستوي عنده ذامه ومادحه.

= ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر. [شرح مسلم للنووي (١٧/١٩٢ - ١٩٣)].

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٣).

(الثالثة): أن يكون أنسه بالله تعالى، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان، وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره.

إن الزهد في الدنيا ضروري للأخ المسلم، «**فإنه يفرغه لعمارة وقته، وجمع قلبه على ما هو بصدده، وقطع مواد طمعه التي هي من أفسد شيء للقلب، بل أصل المعاصي والفساد والفجور كله من الطمع. فالزهد يقطع مواده، ويفرغ البال، ويملأ القلب، ويستحث الجوارح، ويذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه، ويجلب الأنس به، ويقوي الرغبة في ثوابه إن ضعف عن الرغبة في قربه والدنو وذوق حلاوة معرفته ومحبته.**

فالزاهد أروح الناس بدناً وقلباً. فإن كان زهده وفراغه من الدنيا قوة له في إرادة الله والدار الآخرة، بحيث فرغ قلبه لله، وجعل حرصه على التقرب إليه، وشحّه على وقته أن يضيع منه شيء في غير ما هو أرضى لله وأحب إليه كان من أنعم الناس عيشاً، **وأقرهم عيناً، وأطيبهم نفساً، وأفرحهم قلباً**. فإن الرغبة في الدنيا تشتت القلب، وتبدد الشمل، وتطيل الهم والغم والحزن، فهي عذاب حاضر يؤدي إلى عذاب منتظر أشد منه، وتفوت على العبد من النعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرغبة في الدنيا»[1].

---

(١) عدة الصابرين (ص: ٣١٦).

١٣ ـ أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكرنا كاف في حصول المقصود، بل لا بد أن يضيف إليه بذل الجهد في استعماله، واستفراغ الوسع والطاقة فيه[١].

فمن هذه الأسباب: وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.

وملاك ذلك أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة وبالله التوفيق[٢].

---

(١) عدة الصابرين (ص: ٨٥).

(٢) مدارج السالكين (٣/١٨).

المحبة في الله

اعلم بأنّ المحبّة في الله «من تمام محبّته وموجباتها لا من قواطعها، فإنّ محبَّة الحبيب تقتضي محبَّـة ما يحبُّ، ومحبَّـة ما يعين على حبِّه ويوصل إلى رضاه وقربه»[1]، وهـو يحب الأنبياء والصالحين، ويحب الأعمال الصـالحة، فحبّهـا لله هو من تمـام حبّه[2].

وكيف لا يحبُّ المؤمن مـا يستعين به على مـرضاة ربّـه، ويتوصل به إلى حبِّه وقربه[3]؟.

فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فـازداد حبـك لله، كمـا إذا ذكـرت النبي ﷺ والأنبيـاء قبله والمـرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فـإن ذلك يجـذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبهم لله.

(١) روضة المحبين (ص: ٢٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦٠٧ ـ ٦٠٨).
(٣) روضة المحبين (ص: ٢٩٩).

فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله فإنَّ الله هـو محبوبـه. فهو يحب أن يجـذبـه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله[1].

هـذه المحبـة في الله لا تتحقق إلا إذا كـانت خـاليـة من الغرض، إيجابية في الخير. فإنَّ من أحبَّ إنساناً لكونه يعطيه، فما أحبَّ إلا العطاء. ومن قال: إنه يحبُّ من يعطيه لله، فهـذا كذب ومحال وزور من القول

وكذلك من أحب إنساناً لكونه ينصره إنما أحب النّصر لا النّاصر.

وهذا كله من اتّباع مـا تهوى الأنفس، فـإنَّه لم يحبّ في الحقيقة إلا ما يصل إليه من جلب منفعة أو دفع مضرّة، فهو إنما أحب تلك المنفعة ودفع المضرّة.

وإنمـا أحب ذلك لكـونه وسيلة إلى محبـوبه، وليس هـذا حباً لله ولا لذات المحبـوب[2] **وهذه هي المحبـة الغرضيـة التي تـزول بـزوال مـوجبهـا، فـإنّ من ودّك لأمـر، ولّى عنـك عنـد انقضائه**[3].

وعلى هذا تجري عـامة محبـة الخلق بعضهم مع بعض، وهذا لا يثابون عليه في الآخرة ولا ينفعهم، بل ربما أدّى ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٠٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦٠٩ ـ ٦١٠).
(٣) زاد المعاد (٤/٢٧٠ ـ ٢٧١).

إلى النفاق والمداهنة فكانوا في الآخرة من الأخلاء الذين بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين[1].

قال الله تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

أما إذا كان الحب لمجرد كون المحبوب مسلماً صالحاً، وأدّى بالمتحابّين إلى النهوض ببعضهم إلى الله، والتواصي بالحق والصبر والتعاون على الخير والذكر والدعوة والعلم، فتلك محبة في الله، قال موسى عليه السلام:

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى * يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى * وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى * هَٰرُونَ أَخِى * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٢].

ثم بيّن الهدف من تعاونه مع أخيه فقال: ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٣٣ ـ ٣٥].

فالتسبيح الكثير والذكر الكثير هو الهدف من التآخي في الله.

وحتى تقوى هذه المحبة وتستمر فلا بد من أن نأخذ بالأسباب التالية:

أ ــ **الإعلام بالمحبة**: فإنه أبقى للألفة وأثبت للمودة، وبه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٠).

يتزايد الحب ويتضاعف وتجتمع الكلمة وينتظم الشمل بين المسلمين وتزول المفاسد والضغائن وهذا من محاسن الشريعة(1).

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أحب أحدكم صاحبه فليأت في منزله فليخبره أنه يحبه في الله تعالى**»(2).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ مر رجل، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إني لأحب هذا الرجل، قال: هل أعلمته ذلك؟ قال: لا، فقال: قم فأعلمه، قال: فقام إليه فقال: يا هذا والله إني لأحبك في الله، قال: أحبك الذي أحببتني له»(3).

وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه**»(4).

ب ـ **التَّهادي**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»(5).

---

(1) فيض القدير (١/٢٤٧).

(2) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧١٢) بسند صحيح.
نقل المناوي في «الفيض» (١/٢٤٧) عن البغدادي قوله: «**إنما حث على الإعلام بالمحبة إذا كانت لله لا لطمع في الدنيا ولا هوى بل يستجلب مودته فإن إظهار المحبة لأجل الدنيا والعطاء تملق وهو نقص والله أعلم**».

(3) أخرجه أحمد (٣/١٤٠ ـ ١٤١ و١٥٠) وأبو داود (٥١٢٥) وابن حبان (٢٥١٣ ـ «موارد») والحاكم (٤/١٧١) وصححه ووافقه الذهبي.

(4) أخرجه أحمد (٤/١٣٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (ص: ١١٠) وأبو داود (٥١٢٤) والترمذي (٢٣٩٢) وابن حبان (٢٥١٤ ـ «موارد») والحاكم (٤/١٧١) وصححه ووافقه الذهبي.

(5) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص:١٢٠) والبيهقي (٦/١٦٩) وسنده حسن.

لأن الهدية خلق من أخلاق الإسلام دلت عليه الأنبياء وحث عليه خَلْقٌ وهم الأولياء، تؤلف القلوب وتنفي سخائم الصدور[1].

ج ـ **التزاور**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا أبا هريرة! زر غباً[2] تزدد حباً»**[3].

ومعنى الحديث: زر أخاكَ وقتاً بعد وقت ولا تلازم زيارته كلّ يوم تزدد عنده حباً وبقدر الملازمة تهون عليه[4].

اعلم أن زيارة الإخوان في الله تعالى من جواهر عبادة الله تعالى، وفيها الزلفة الكريمة إلى الله عز وجل، مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلوب، ولكن بشرطين:

أحدهما: أن لا يخرج في ذلك إلى الإكثار والإفراط، قال النبي ﷺ لأبي هريرة، رضي الله عنه: «زر غبّاً تزدد حبّاً».

---

(١) فيض القدير (٣/٢٧١).

(٢) قال بعضهم: فالإكثار من الزيارة ممل والإقلال منها مخل.

ونظم بعضهم هذا المعنى فقال:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكاً
فإني رأيت الغيث يسأم دائماً ... ويسأل بالأيدي إذا كان ممسكاً

(وقال آخر):

وقد قال النبي وكان يروي ... إذا زرت الحبيب فزره غبا

(وقال آخر):

أقلل زيارتك الصديق ... تكون كالثوب استجده
وأملَّ شيء لامرىء ... أن لا يزال يراك عنده

(٣) انظر تخريج الحديث في «صحيح الجامع» (٣٥٦٢).

(٤) فيض القدير (٤/٦٢).

والثاني: أن تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزيّن، وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك، فيعود عليك وعلى أخيك الوبال...

فيجب أن تكون مجالستك للإخوان، وملاقاتهم على مقدار قصدٍ في احتياط ونظر لطيف.

د ـ بذل المال: عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[1].

وبذل المال على ثلاث مراتب: **أهونها**: المساهمة في المال، **وأوسطها**: المواساة، **وأعلاها**: تقديم الأخ في المال على النفس[2] وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابّين وتسمى درجة الإيثار قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين.

هـ ـ إفشاء السلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التبصرة (١/٢٧٧).

رسول الله ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»**[1].

وفي الحديث الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت من لم تعرف[2]... والسلام أول أسباب التألف ومفتاح استجلاب المودة. وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات.

وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: **ثلاث من جمعهنّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم والإنفاق من الاقتار**[3].

وبذل السلام للعالم والسلام على من عرفت ومن لم تعرف وإفشاء السلام كلها بمعنى واحد وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه به والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٣٥).

(٢) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير! قال: **«تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»** أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (١/ ٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٧٧) وانظر ما كتبه العلامة الرباني ابن قيم الجوزية رحمه الله حول هذا الأثر في «زاد المعاد» (٢/ ٤٠٧ ـ ٤١٠) فإنه نفيس جداً.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٣٦).

و ــ ترك الذنوب: عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما توادّ اثنان في الله عز وجل أو في الإسلام، فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما**»[1].

فإذا وجدت من إخوانك جفاء فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنباً، وإذا وجدت منهم زيادة ودٍ فذلك لطاعة أحدثتها فاشكر الله تعالى[2].

ز ــ الذب عن عرض الأخ بالغيبة[3]: اعلم رحمك الله بأن من أعظم الأسباب «تأثيراً في جلب المحبة الذب [عن الأخ المسلم] في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض. وحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه. والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة... وقد قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه**»[4]، وهذا من الانسلام والخذلان: فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه. **فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت[5] لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك! وتمزيق**

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٨٤) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه انظرها في «السلسلة الصحيحة» (٦٣٧).

(٢) فيض القدير (٥/٤٣٨).

(٣) عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار**» أخرجه أحمد (٦/٤٦١) وهو حديث صحيح. انظر «غاية المرام» (٤٣١).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٩١) والبخاري (٢٤٤٢) وأبو داود (٤٨٩٣) والترمذي (١٤٢٦).

(٥) **كيف لو شارك في الحديث! كما يحدث في لبنان.** عند الصباح يسلّم عليك ويقول: كيف حالك يا أخي؟ وعند المساء يأكل من لحمك. **الحجر كثير والجوهر** =

الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم. ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات: ١٢]...

ولقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر، فبكى وقال: هكذا الإخوان في الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر.

وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق. والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف. والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين. **ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة فإنَّ حق الأخوة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق.**

وللمحبة في الله ثمرات طيبة يجنيها المتحابون من ربهم في الدنيا والآخرة نذكر منها:

= **قليل**. وليتأمل القارىء اللبيب الكلام التالي:

قال ابن الجوزي رحمه الله في «التبصرة» (٢/٢٧٨): «**رحل الإخوان، وأقام الخوّان، وقلّ أن ترى في الزمان، إلا من إذا دعي مان**».

وقال في «التبصرة» (٢/٢٨٠): «**إخواني: نسخ في هذا الزمان رسم الأخوة وحكمه، فلم يبق إلا الحديث عن القدماء، فإن سمعت بإخوان صدق فلا تصدّق**».

ملحوظة: توفي ابن الجوزي سنة ٥٩٧ هـ.

أ ــ محبة الله تعالى:

عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[1].

ب ــ الكرامة من الله:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحب عبد عبداً لله إلا أكرمه الله عز وجل**»[2].

ج ــ الاستظلال في ظل عرش الرحمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي[3]؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه...**»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٥٩) بسند جيد.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠/٨٣): «**فقوله: أين المتحابون بجلال الله؟ تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه، وبذلك يكونون حافظين لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم**».

(٤) أخرجه مالك (٣/١٢٧) وأحمد (٢/٢٣٧ و٢٣٨ و٣٧٠) ومسلم (١٦/١٢٣ ـ نووي) والدارمي (٢/٣١٢).

(٥) سبق تخريجه.

د ـ انتفاء الخوف والحزن:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم[1] الشهداء والنبيّون يوم القيامة لقربهم من الله تعالى، ومجلسهم منه». فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله صِفْهُم لنا وجَلِّهم لنا؟ قال: «قوم من أقناء الناس من نزّاع القبائل، تصادقوا في الله وتحابّوا فيه، يضع الله عزّ وجلّ لهم يوم القيامة منابر من نور، يخافُ الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عزّ وجلّ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»**[2].

هـ ـ وَجْدُ حلاوة الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله»**[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»**[4].

---

(١) الغبطة : هو أن تشتهي لنفسك مثل ما يكون لغيرك من نعمة وثروة، من غير أن يزول عنه ما هو فيه، والحسد: أن تتمنى ما لغيرك بزوال نعمته. انظر جامع الأصول (٥٥١/٦).

(٢) أخرجه الحاكم (١٧٠/٤ ـ ١٧١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٨/٢ و ٥٢٠) والحاكم (١٦٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد (١٠٣/٣ و ٢٣٠ و ٢٤٨ و ٢٨٨) والبخاري (٦٠/١ و ٧٢ و ٤٦٣/١٠، ٣١٠/١٢) ومسلم (١٣/٢ ـ نووي) والترمذي (٢٦٢٤) والنسائي (٩٦/٨) وابن ماجه (٤٠٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له. فمن أحب شيئاً أو اشتهاه، إذا حصل له مراده، فإنّه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى... فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان، تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

«**فتكميلها**» أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بُدّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما.

و «**تفريعها**» أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

و «**دفع ضدّها**» أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار»[1].

و ــ دخول الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[2].

ز ــ استكمال الإيمان:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٢) تقدّم تخريجه.

أحبّ لله، وأبغض لله[1]، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[2].

قال ابن رجب رحمه الله: «ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفّت عما يكرهه، وعما يخشى أن يكون مما يكرهه وإن لم يتيقن ذلك»[3].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١/١٢٤): «**فإنّ الإيمان علم وعمل والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان: عمل القلب حبّاً وبغضاً، ويترتب عليهما عمل الجوارح، فعلاً، وتركاً، وهما العطاء والمنع. فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى؛ كان صاحبها مستكمل الإيمان، وما نقص منها فكان لغير الله، نقص من إيمانه بحسبه**».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١) بسند حسن.

(٣) جامع العلوم والحكم (ص: ٧٢).



الخصال التي يحبها الله

١ ــ عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»**[1].

وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء[2].

فلا يمكن مخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات والسرور والأفراح التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا لو أن تدوم هذه الحال، واكتسبوا من جماله ونوره جمالاً إلى

(١) أخرجه مسلم (١/٦٥).

(٢) الفوائد (ص: ٢٣٥).

جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو الجميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى:

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

فكلها دالة على غاية الحمد والمجد والكمال.

وكذلك هو الجميل في أوصافه، فإنّ أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات وأعمها وأكثرها تعلقاً خصوصاً أوصاف الرحمة والبر والكرم والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة، فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثنى عليه ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل.

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦][1].

قال ابن القيم رحمه الله: «الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (ص: ٢٩ - ٣٠).

به مدح ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود.

وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه.

فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه.

والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوصل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد، وأقصى مطلبه فإن كثيراً من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك. وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين.

والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين: فأوله معرفة، وآخره سلوك.

فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة، والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك[1].

---

(١) الفوائد (ص: ٢٣٩ - ٢٤٠).

٢ ـ عن أبي الأحوص أن أباه أتى النبي ﷺ وهو أشعث، سيىء الهيئة، فقال له رسول الله ﷺ: أما لك مال؟ قال: من كل المال قد آتاني الله عز وجل، قال: «**فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه**»[1].

فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها.

ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينةً تجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم، فقال:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال في أهل الجنة:

﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۞ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾ [الإنسان: ١١ ـ ١٢].

فجمَّل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٧٣ ـ ٤٧٤) وإسناده صحيح على شرط مسلم. وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**». أخرجه الترمذي (٢٨١٩) وقال: حديث حسن.

(٢) الفوائد (ص: ٢٣٨).

٣ ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال: **يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت وعليكم**»[1].

٤ ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[2].

٥ ــ عن يعلى بن أمية قال: إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز، فصعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: **إنّ الله حييٌّ ستّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[3].

٦ ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! إن علمت أيّ ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[4].

العفو: من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو

---

(١) أخرجه أحمد (٦/٣٧ و ١٩٩) والبخاري (١٠/٣٥ و ١١/٤١ و ١٩٤ و ١٢/٢٨٠) ومسلم (٧/٤) والترمذي (٢٧٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٨/٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٢٤) والنسائي (١/٢٠٠) وأبو داود (٤٠١٢) بسندحسن.

(٤) أخرجه أحمد (٦/١٧١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ٢٠٨ و ٢٥٨) والترمذي (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٥٠) والحاكم (١/٥٣٠) وقال: صحيح على شرطهما.

عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحبّ إليه من عقوبته.

وكان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بعفوك من عقوبتك**»[1].

قال يحيى بن معاذ: «لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه».

يشير أنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبائه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو، فإنه يحب العفو[2].

فعلينا أن نستكثر من الدعاء بالعفو «**لأن العمدة الكبرى في نيل السعادة الأخروية هي مغفرة الذنوب وعفو الله عنها**»[3].

وهذه الكلمة كما ترى فيها ما يبعث رغبات الراغبين إلى إدامة الطلب من رب العالمين أن يغفر[4]

فمن رزق الاستكثار من هذا السؤال، وحظي بتكرير هذا الدعاء، فقد لاح له عنوان السعادة، وفتح له باب الفوز وأخذ بطرفي النجاة[5].

فكان هذا الدعاء من الكلم الجوامع والفوائد النوافع[6].

٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) بغية الإنسان في وظائف رمضان (ص: ٨٥).

(٣) تحفة الذاكرين (ص: ٣٠٦).

(٤) المصدر السابق (ص: ٣٠٦).

(٥) المصدر السابق (ص: ٣٠٦).

(٦) تحفة الذاكرين (ص: ٣٠٥).

لأشج عبدالقيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[1].

إذا بلغ العبد ذروة هاتين الخصلتين فقد فاز بالقدح المعلى وحلّ في مقام الرفعة عند المولى. وقد اتفقت الملل والنحل على أن الحلم والأناة يرفعان العبد وإن كان وضيعاً وأنهما أصل الخصال الموصلة إلى السعادة العظمى وما سواهما فرع عنهما[2].

٨ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة، ولكن سن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**»[3].

٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**»[4][5].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٠٦) والبخاري في «الأدب المفرد» (ص: ١١٩) ومسلم (١/٣٦ ـ ٣٧) وأبو داود (٥٢٢٥) والترمذي (٢٠١١) وابن ماجه (٤١٨٨).

(٢) فيض القدير (١/٧٤) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه أحمد (١/١١٠ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٨) والترمذي (٤٥٣) وأبو داود (١٤١٦) والنسائي (٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩) وابن ماجه (١١٦٩) وابن خزيمة (١٠٦٧) والحاكم (١/٣٠٠) وحسنه الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري (١١/٢١٤) ومسلم (٨/١٣) وابن ماجه (٣٨٦١).

(٥) قال ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد» (١/١٦٤): «**بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة. وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح.**

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها. =

١٠ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته**»[١].

١١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «لما كان العاطس قد حصلت له

= **المرتبة الثالثة**: دعاؤه بها كما قال تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** [الأعراف: ١٨٠] وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. وكذلك لا يسأل إلا بها. فلا يقال يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. ومن تأمّل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا.

وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله. فإنها ليست بعبارة سديدة وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة.

وأحسن منها: عبارة أبي الحكم بن برهان وهي التعبد.

وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

مراتبها أربعة: أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه.

وأحسن منها عبارة من قال التخلق.

وأحسن منها عبارة من قال: التعبد.

وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن.

(١) أخرجه أحمد (٢/١٠٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٦٥ و٤٢٨ و٥١٧) والبخاري (١٠/٦٠٧) والترمذي (٢٧٤٧) وأبو داود (٥٠٢٨).

بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة، شـرع له حمـد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها، ولهذا يقال: سمّته وشمّته بالسين والشين فقيل: هما بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة وغيره. قال: وكل داعٍ بخير، فهو مشمّت ومسمّت. وقيل: بالمهملة دعاء له بحسن السَّمت، وبعوده إلى حالته من السكون والـدعة، فـإن العطاس يحدث في الأعضاء حركة وانزعاجاً.

وبـالمعجمة: دعـاء له بـأن يصرف الله عنـه ما يشمت بـه أعداءه، فشمّته: إذا أزال عنه الشماتـة، كقرّد البعيـر: إذا أزال قراده عنه.

وقيل: هو دعـاء له بثباته على قوائمه في طاعة الله، مأخوذ من الشوامت، وهي القوائم.

وقيل: هو تشميت له بالشيـطان، لإغاظتـه بحمد الله على نعمة العطاس، وما حصل له به من محاب الله، فإن الله يحبه، فإذا ذكر العبد الله وحمده، ساء ذلك الشيطان من وجوه، منها: نفس العطاس الذي يحبه الله، وحمد الله عليه، ودعاء المسلمين له بالرحمة، ودعاؤه لهم بالهداية، وإصلاح البال، وذلك كله غائظ للشيطان، محزن له، فتشميت المؤمن بغيظ عدوه وحزنه وكآبته، فسمي الدعاء له بالرحمة تشميتاً له، لما في ضمنه من شمـاتته بعدوه، وهذا معنى لطيف إذا تنبه له العاطس والمشمت، انتفعا

به، وعظمت عندهما منفعة نعمة العطاس في البدن والقلب، وتبين السر في محبة الله له، فلله الحمد الذي هو أهله كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله»[1].

١٢ ـ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل كريم، يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويبغض سفسافها»**[2].

١٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[3].

قال الحافظ رحمه الله: «وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر، وتحريض على ملازمته، لأن جميع التكاليف شاقة على النفس. وهذا سهل ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة فلا ينبغي التفريط فيه»[4].

١٤ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك**

---

(١) زاد المعاد (٢/٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٢) أخرجه الحاكم (١/٤٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٥٥ و٨/١٣٣) وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٣٢) والبخاري (١١/٢٠٦ و٥٦٦ و١٣/٥٣٧) ومسلم (٨/٧٠) والترمذي (٣٤٦٧) وابن ماجه (٣٨٠٦).

(٤) فتح الباري (١١/٢٠٨).

اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك»[1].

١٥ ــ عن أبي ذر رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ عاده وأن أبا ذر عاد رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أيّ الكلام أحبّ إلى الله؟ فقال: «**ما اصطفاه الله لملائكته، سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده**»[2].

١٦ ــ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحبّ الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله! أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال: **إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**»[3].

١٧ ــ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا يضرك بأيهن بدأت**»[4].

قال الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن هذه الأربع الكلمات أحب إلى الله تعالى، ولا ينافيه ما تقدم من أن سبحان الله وبحمده أحب الكلام إلى الله لأن التسبيح والتحميد هنّ من جملة هذه الأربع المذكورة هنا. واعلم أن هذه الواو الواقعة بين هذه الكلمات هي واقعة لعطف بعضها على بعض كسائر

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٣) والحاكم (١/٥٠١) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٦١) ومسلم (٨/٨٦).

(٤) أخرجه أحمد (٥/١٠) ومسلم (٦/١٧٢).

الأمور المتعاطفة فهل يكون الذكر بها بغير واو، فيقول الذاكر: سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر؟ أو يكون الذكر بها مع الواو فيقول الذاكر بها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر والظاهر الأول، لأن النبي ﷺ أخبرهم بأنهم يقولون كذا وكذا، فالمقول هو المذكور من دون حرف العطف كسائر التعليمات الواردة عنه ﷺ[1].

١٨ ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً. وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه»**[2].

١٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما من خارج يخرج، يعني من بيته، إلا بيده رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان. فإن خرج لما يحب الله عز وجل[3]، اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته. وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته»**[4].

٢٠ ـ عن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين:**

---

(١) تحفة الذاكرين (ص: ٢٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠ و٢٠٦) والبخاري (٣/ ١٦ و٦/ ٣٨) ومسلم (٣/ ١٦٥) وأبو داود (٢٤٤٨) والنسائي (٣/ ١٩٨) وابن ماجه (١٧١٢) والدارمي (٢/ ٢٠).

(٣) قال ابن القيّم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١/ ٩٣): **«وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحبّ إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر»**.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣) بسند صحيح.

قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهرق في سبيل الله.

وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى»[1].

٢١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما من أحد أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحبّ إلى الله من الحمد»[2].

فهو سبحانه وتعالى حميد يحب الحمد، ويحب من يحمده ويثني عليه.

والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحب له.

ومحاسن المحمود تعالى إما قائمة بذاته، وإما ظاهرة في مخلوقاته[3].

النوع الأول: حمد الأسماء والصفات[4]، وهو حمد يتضمن الثناء عليه بكماله القائم بذاته[5].

النوع الثاني: حمد النعم والآلاء[6].

٢٢ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٩) وحسنه.
(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٥٦) بدون قوله: «وما من أحد... إلخ» والبيهقي (١٠/١٠٤) بسند حسن.
(٣) طريق الهجرتين (ص: ١١٤).
(٤) طريق الهجرتين (ص: ١٣٢).
(٥) المصدر السابق (ص: ١١٤).
(٦) المصدر السابق (ص: ١٣٢).

رسول الله أقرأ من سورة يوسف وسورة هود؟ فقال: «**يا عقبة، اقرأ بـ ﴿أعوذ برب الفلق﴾ فإنك لن تقرأ بسورة أحبّ إلى الله وأبلغ عنده منها فإن استطعت أن لا تفوتك فافعل**»[1].

٢٣ ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الصبح فقال: «أشاهد فلان»؟ قالوا: لا، قال: «أشاهد فلان»؟ قالوا: لا، قال: «**إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبواً على الركب، وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما في فضيلته لابتدرتموه، وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وكلما كثر فهو أحب إلى الله عز وجل**»[2].

٢٤ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرّم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر[3] من الله من أجل ذلك**

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٤٠) وأبو داود (٥٥٤) والنسائي (٢/١٠٤ ـ ١٠٥) والحاكم (١/٢٤٧ ـ ٢٤٨) وابن حبان (٤٢٩) وابن خزيمة (١٤٧٦) وقال الحاكم: «وقد حكم أئمة الحديث يحيى بن معين وعلي بن المديني ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهم لهذا الحديث بالصحة».

(٣) نقل النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٧/٧٨) عن القاضي عياض قوله: **يحتمل أن المراد الاعتذار أي: اعتذار العباد إليه من تقصيرهم وتوبتهم من معاصيهم فيغفر لهم كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عبادِهِ﴾** [الشورى: ٢٥].

أنزل الكتاب، وأرسل الرسل»[1].

قال النووي رحمه الله: حقيقة هذا مصلحة للعباد لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى فيثيبهم فينتفعون. وهو سبحانه غني عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك.

وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فجمع في هذا الحديث بين الغيرة - التي أصلها كراهة القبائح وبغضها - **وبين محبة العذر** الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان، **والله سبحانه مع شدة غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده، ويقبل عذر من اعتذر إليه،** وأنه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذاراً وإنذاراً، وهذا غاية المجد والإحسان ونهاية الكمال.

فإن كثيراً ممن تشتد غيرته من المخلوقين يحمله شدة الغيرة على سرعة الإيقاع والعقوبة من غير إعذار منه، ومن غير قبول لعذر من اعتذر إليه، بل يكون له في نفس الأمر عذر ولا تدعه شدة الغيرة أن يقبل عذره، وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها قلّة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير، ويرى عذراً ما ليس بعذر، حتى يعتذر كثير منهم بالقدر، وكل منهما غير ممدوح على الإطلاق.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٨١ و٤٢٦ و٤٣٦) والبخاري (٨/٣٠١ و٩/٣١٩ و١٣/٣٨٣) ومسلم (٨/١٠٠) والترمذي (٣٥٣٠) والدارمي (٢/١٤٩).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٧٧ - ٧٨).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنّ من الغيرة ما يحبها الله، ومنها ما يبغضها الله، فالتي يبغضها الله الغيرة من غير ريبة»** وذكر الحديث[1].

وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل الغيرة، ويعذر في موضع العذر، ومن كان هكذا فهو ممدوح حقاً.

ولما جمع سبحانه صفات الكمال كلها كان أحق بالمدح من كل أحد، ولا يبلغ أحد أن يمدحه كما ينبغي له، بل هو كما مدح نفسه وأثنى على نفسه.

فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته، ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامها، وأدخلته على ربه وأدْنته وقرّبته من رحمته، وصيّرته محبوباً له.

فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حييٌ يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر»[2].

٢٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٤٥ و٤٤٦) وأبو داود (٢٦٥٩) والنسائي (٥/٧٨، ٧٩) والدارمي (٢/١٤٩) وابن حبان (١٣١٣) والبيهقي في «السنن» (٧/٣٠٨) وفي «الأسماء والصفات» (ص: ٦٣٧) من حديث جابر بن عتيك وفي سنده عبدالرحمٰن بن جابر بن عتيك، وهو مجهول، كما قال الحافظ في «التقريب» (١/٤٧٥)، لكن له شاهد يتقوى به من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (٤/١٥٤) فهو حسن به.

(٢) الجواب الكافي (ص: ٧٦ - ٧٧).

رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**»، فقالوا: يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[1].

٢٦ ـ عن مالك بن يخامر: أن معاذ بن جبل قال لهم: إنّ آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: **أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال**: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**»[2].

قال المناوي: «**وفي الحديث حثٌ على الذكر حيث علق به حكم الأحبية وكل مؤمن يرغب في ذلك كمال الرغبة ليفوز بهذه المحبة**»[3].

فاحرص يا أخي أن يكون لسانك رطباً بذكر الله فإن «اللسان لا يسكت البتة. فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما.

وهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وهو القلب، إن لم تسكنه محبة **الله** عز وجل، سكنته محبة المخلوقين ولا بد.

وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر، شغلك باللغو، وهو عليك ولا بد.

(١) أخرجه أحمد (١/٣٤٦) والبخاري (٢/٤٥٧) وأبو داود (٢٤٣٨) والترمذي (٧٥٧) وابن ماجه (١٧٢٧) والدارمي (٢/٢٥) والبيهقي (٤/٢٨٤) واللفظ للترمذي.

(٢) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٨٠ ـ ٨١) وابن حبان (٢٣١٨) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٢) بسند حسن.

(٣) فيض القدير (١/١٦٦).

فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين»[1].

٢٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سئل النبي ﷺ: **«أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: أدومها[2]وإن قل»**[3].

أشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أن أحب الأعمال إلى الله عز وجل «ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلاً، وهكذا كان عمل النبي ﷺ وعمل آله وأزواجه من بعده، وكان ينهى عن قطع العمل.

وقال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: **«لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»**[4]، وقال ﷺ: **«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»**[5].

قال الحسن: إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوماً على

---

(١) الوابل الصيب (ص: ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) قال المناوي في «الفيض» (٥/٨٣): **«وإنما كان أحبّ إليه لأنّ المداوم يدوم له الإمداد والإسعاد من الوهاب الجواد. وتارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصول، والهاجر بعد ما منحه من الفضل والبدل وبدوام القليل تستمر الطاعة والإقبال على الله بخلاف الكثير المشاق»**.

(٣) أخرجه أحمد (٦/١٢٥ و١٦٥ و١٧٦ و ١٨٠ و٢٧٣) والبخاري (١/١٠١ و ١١/٣٩٤) ومسلم (٢/١٨٨ ـ ١٨٩) وأبو داود (١٣٦٨) والنسائي (٣/٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣/٣٧) ومسلم (٨/٤٤ ـ نووي) والنسائي (٣/٢٥٢).

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/٢١٥) والبخاري (١١/١٤٠) ومسلم (١٧/٥٢ ـ نووي) وأبو داود (١٤٨٤) والترمذي (٣٣٨٧).

طاعة الله عز وجل فبغاك وبغاك، فإن رآك مداوماً ملّك ورفضك، وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك»[1].

وفي الحديث حث «**على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع. وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة**»[2].

٢٨ ـ عن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله آنية في الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها[3] وأرقها**»[4].

٢٩ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**برّ الوالدين**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[5].

٣٠ ـ عن رجل من خثعم قال: «أتيت النبي ﷺ وهو في

---

(١) المحجة في سير الدلجة (ص: ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٧١).

(٣) قال النووي رحمه الله: «**معناه أنها ذات خشية واستكانة سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير سالمة من الغلط والشدة والقسوة**» [شرح مسلم (٢/٣٤)].

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «الجامع الصغير» (٢٢٧٥) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٥٩).

(٥) أخرجه أحمد (١/٤٠٩ و٤١٠ و٤٣٩ و٤٤٢ و٤٥١) والبخاري (٢/٩ و١٠/٤٠٠) ومسلم (١/٦٣) والنسائي (١/١٠٠) والترمذي (١٧٣) والدارمي (١/٢٧٨).

نفر من أصحابه، فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: نعم. قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحبّ إلى الله؟

قال: «**الإيمان بالله**». قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **ثم صلة الرحم**.

قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**.

قلت: يا رسول الله أيّ الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: **الإشراك بالله**.

قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **ثم قطيعة الرحم**.

قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: **ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**»(1).

٣١ ــ عن معدان بن طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله، ثم سألته، فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة**».

ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال لي ثوبان(2).

---

(١) أخرجه أبو يعلى بإسناد جيد كما في «الترغيب» (٣/٣٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٧٦) ومسلم (٢/٥١ ـ ٥٢) وأبو عوانة (٢/١٨٠ ـ ١٨١) والنسائي (١/١٧١) والترمذي (٣٨٨) وابن ماجه (١٤٢٣) والبيهقي (٢/٤٨٥ ـ ٤٨٦).

فللَّه ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها، وما ألطف موقعها من قلب كل محب، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم[1].

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٥٦).

من يحبهم الله

إن الله تعالى يحب أسماءه وصفاته ويحب المتعبدين له بها[1] المتصفين بآثار صفاته[2]، ويحب من يسأله ويدعوه بها ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها ويحمده ويمدحه بها[3].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**»[4].

فإنه جميل **يحب الجمال**، عفو **يحب أهل العفو**، كريم **يحب أهل الكرم**، عليم يحب أهل العلم، وتر **يحب أهل الوتر**، قوي **والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف**[5]، رحيم

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ١٢٩).

(٢) عدة الصابرين (ص: ٥٦).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ١٢٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) عدة الصابرين (ص: ٥٦) بتصرف.

يحب الراحمين، محسن **يحب المحسنين**، شكور **يحب الشاكرين**، صبور **يحب الصابرين**، جواد **يحب أهل الجود**[1]، **برّ يحب الأبرار**، عدل **يحب أهل العدل**، حيي ستير **يحب أهل الحياء والستر**[2]، حليم **يحب أهل الحلم**، رفيق **يحب أهل الرفق**، مقسط **يحب المقسطين**، تواب **يحب التوابين**، حميد **يحب الحامدين**.

ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت.

ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدَّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية[3].

---

(١) عدة الصابرين (ص: ٣٢٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ١٢٩).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ١٢٩ ـ ١٣٠).

والقرآن والسنّة مملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم[1].

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢٥).

أ ـ ما جاء في كتاب الله تعالى

١ ـ ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

٢ ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨][١].

عن أبي أيوب الأنصاري وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك رضي الله عنهم: أن هذه الآية لما نزلت: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيراً فما طهوركم هذا؟**» قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء» قال: «**هو ذاك فعليكم به**»[٢].

٣ ـ ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٤ ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) قال العز بن عبدالسلام رحمه الله في «شجرة المعارف» (ص: ٥٥): «إذا أحبّ مولاك من تطهّر من الأحداث والأنجاس، فما الظنّ بمن تطهّر من الذنوب والأدناس».

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥٥) والحاكم (٢/٣٣٤ ـ ٣٣٥) وصححه ووافقه الذهبي.

٥ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤](*).

فوصف الله سبحانه المحبين له **بأربعة أوصاف**:

أحدها: الذلة على المؤمنين، والمراد لين الجانب، وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين كما قال تعالى لرسوله:

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ(٢) لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله:

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح: ٢٩](٣).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠/٥٧ ـ ٥٨): «فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. فإن المحبة مستلزمة للجهاد، لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك».

(٢) فهو اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة. صورة خفض الجناح، كما يخفض الطائر جناحه حين يهم بالهبوط. وكذلك كان رسول الله ﷺ مع المؤمنين طوال حياته. فقد كان خلقه القرآن، وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم.

(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٣١).

فالمؤمن ذلول للمؤمن... غير عصي عليه ولا صعب. هيّن ليّـن[1] ... ميسر مستجيب... سمح ودود.

وهـذا يرجـع إلى أن المحبين لله يحبون أحبـابه ويعـودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة[2].

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم كما قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

وهذا يرجع إلى أنّ المحبين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة الصادقة[3].

الثالث: الجهاد في سبيل الله[4] فإن من تمام المحبة مجاهدة أعداء المحبوب[5] باليد[6] واللسان[7].

---

(١) قلت: وهذا الذي تحرم النار عليه كما جاء في الحديث: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هيّن، سهـل**» رواه أحمد (١/٤١٥) والترمذي (٢٤٨٨) وابن حبان (١٠٩٦) عن ابن مسعود وهـو حديث صحيح بمجموع شواهده انظرها في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٨).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٨).

(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) جامع العلوم والحكم(ص: ٣٤٢).

(٦) كما في قوله ﷺ: «**جاهـدوا المشركين بـأموالكم، وأنفسكم وألسنتكم**» أخـرجه أحمد (٣/١٢٤ و١٥٣) وأبو داود (٢٥٠٤) والنسائي (٦/٧) والدارمي (٢/٢١٣) وابن حبان (١٦١٨) والحاكم (٢/٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٧) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٨).

وأيضاً فالجهاد في سبيل الله دعـاء للمعرضين عن الله إلى الرجوع إليه بالسيف والسنان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان، فـالمحب يحب اجتـلاب الخلق كلهم إلى الله، فمن لم يجـب الدعوة باللين والرفق، احتاج بالدعوة إلى الشدة والعنف[1].

الرابع: **أنهم لا يخافون لومة لائم**، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه إذا كان فيه رضا ربهم.

وهذا من علامات المحبة الصادقة، أن المحب يشتغل بما يرضي به حبيبـه ومولاه، ويستـوي عنده من حمـده في ذلك أو لامه[2].

فكـل محب يأخذه اللوم عن محبـوبـه فليس بمحب على الحقيقة[3].

٦ ــ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧].

٧ ــ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢ والحجرات: ٩].

٨ ــ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٢).
(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٩).
(٣) مدارج السالكين (٣/٢٢).

ب ـ ما جاء في سنة رسول الله ﷺ

٩ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام من السحر في ضراء وسراء**»[1].

قال ابن رجب رحمه الله: «فهؤلاء الثلاثة قد اجتمع لهم معاملة الله سراً بينهم وبينه حيث غفل الناس عنه. **فهو تعالى يحب من يعامله سراً بينه وبينه حيث لا يعلمه حينئذ أحد.**

ولهذا فضّل قيام وسط الليل على ما سواه من أوقات الليل، **والمحبون يحبون ذلك أيضاً فاكتفوا به من دون خلقه، وعاملوه فيما بينه وبينهم معاملة الشاهد غير الغائب وهذا مقام الإحسان.**

قال بعض العارفين: **من عرف الله اكتفى به من خلقه.**

(١) سبق تخريجه.

وكان بعض المخلصين يقول: **لا أعتدّ بما ظهر من عملي»**[1].

١٠ ـ عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل، فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره، فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[2].

التقي: هو الآتي بما يجب عليه المجتنب لما يحرم عليه[3].

الغني: المراد بالغني غني النفس هذا هو الغني المحبوب لقوله ﷺ: «**ولكن الغنى غنى النفس**»[4].

وأشار القاضي إلى أن المراد الغني بالمال.

وأما الخفي: فبالخاء المعجمة هذا هو الموجود في النسخ والمعروف في الروايات.

وذكر القاضي أن بعض رواة مسلم رواه بالمهملة فمعناه

---

(١) شرح حديث عمار بن ياسر (ص: ٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/١٦٨ و١٧٧) ومسلم (٨/٢١٤ ـ ٢١٥).

(٣) سبل السلام (٤/١٧٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٢٤٣ و٢٦١ و٣١٥ و٣٩٠ و٤٤٣ و٥٣٩ و٥٤٠) والبخاري (١١/٢٧١) ومسلم (٣/١٠٠) والترمذي (٢٣٧٣) وابن ماجه (٤١٣٧) من حديث أبي هريرة.

بالمعجمة: الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه، ومعناه بالمهملة الوَصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء والصحيح بالمعجمة[1].

قال الحافظ رحمه الله: إن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال بل يرضى بما قسم الله له.

فكأنه واجد أبداً، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبدا في طلب الازدياد من أيّ وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني.

ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره، علماً بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب، وما أحسن قول القائل:

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة
فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا[2]

١١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤس والتباؤس، ويبغض السائل الملحف، ويحب الحيي العفيف المتعفف**»[3].

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٨/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» كما في «الجامع الصغير» (١٦٦٨) وجوّد إسناده الذهبي في «المهذب» كما ذكر المناوي في «الفيض» (٢/ ٢٠٣).

١٢ - عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى برّاق الثنايا، وإذا الناس معه، إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه، وصدروا عن قوله، فسألت عنه؟ فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان الغد هجّرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلّمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فقال: آلله؟ فقلت: آلله. قال: فأخذ بحبوة ردائي، فجبذني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **قال الله تبارك وتعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ»**[1].

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**[2].

قال النووي رحمه الله: **«في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى للعبد، وفيه فضيلة زيارة**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٩٢ و٤٠٨ و٤٦٢ و٤٨٢ و٥٠٨) ومسلم (٨/١٢).

الصالحين والأصحاب، وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة»[1].

١٤ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال: **«ما من رجلين تحابّا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدّهما حبّاً لصاحبه»[2].**

١٥ ـ عن عائشة رضي الله عنها: **أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك»؟ فسألوه، فقال: «لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأها».**

فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[3].

قال ابن القيم رحمه الله: بشّر النبي ﷺ الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص وقال: أحبها لأنها صفة الرحمن عز وجل فقال: حبك إياها أدخلك الجنة، وفي لفظ آخر: أخبروه أن الله يحبه. فدل على أن من أحبَّ صفات الله أحبه الله وأدخله الجنة، والجهمية أشد الناس نفرة وتنفيراً عن صفاته ونعوت كماله يعاقبون ويذمون من يذكرها ويقرؤها ويجمعها ويعتني بها. ولهذا لهم المقت والذم عند الله وعلى لسان كل عالم من علماء الإسلام فإنه تعالى أشد بغضاً ومقتاً لهم جزاء وفاقاً[4].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٢٤).

(٢) أخرجه الطبراني بإسناد جيد قوي كما في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) ومسلم (٢/ ٢٠٠) والنسائي: (٢/ ١٧١).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٧ ـ ٧٨).

١٦ ـ عن عمر رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيّ الناس أحبّ إلى الله؟ وأي الأعمال أحبّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربه أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحبّ إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كفّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلّ الأقدام، وإنّ سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخلّ العسل»**[1].

١٧ ـ عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: **كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منّا متكلم إذ جاءه أناس فقالوا: من أحبّ عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسنهم خلقاً»**[2].

قال المناوي: **«معنى حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه والتواضع. وقد تضمن هذا الخبر عظيم الحث عليه حيث علق به حكم الأحبية إليه فحق كل مسلم أن يرغب في ذلك كمال الرغبة»**[3].

---

(١) حسن (ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» والطبراني في «الكبير»). صحيح الجامع «١٧٤».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح كما في «مجمع الزوائد» (٨/٢٤).

(٣) فيض القدير (١/١٧٤).

١٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء»**[١].

١٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[٢].

قال النووي رحمه الله: «المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣١٩) والحاكم (٢/٥٦) وصححه ووافقه الذهبي.
نقل المناوي في «الفيض» (٢/٢٩٤) عن ابن العربي قوله: «إنما أحبه لشرف نفسه وحسن خلقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال الذي هو معنى الدنيا وإفضاله على الخلق... ونفعه لهم فلذلك استوجب محبة الله».
ونقل في «الفيض» (١/١٧٥) عن الطيبي قوله: «رتب المحبة عليه ليدل على أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة ولكونه أهلاً للرحمة وفيه فضل المسامحة في الاقتضاء وعدم احتقار شيء من أعمال الخير فلعلها تكون سبباً لمحبة الله التي هي سبب السعادة الأبدية».

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٦٦ و ٣٧٠) ومسلم (٨/٥٦) وابن ماجه (٧٩) وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/٢٩٦).

وأما قوله ﷺ: «**وفي كل خير**» فمعناه: في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات»[1].

وقال ابن القيّم رحمه الله: «فتضمن هذا الحديث الشريف أصولاً عظيمة من أصول الإيمـان.

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحبّ المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمـال، وعليم يحب العلمـاء... ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أن محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسـان في حرصـه على ما ينفعـه في معاشه ومعاده، والحرص: هو بذل الجهـد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص، كان حرصه محموداً، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصاً وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإنْ حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٢١٥).

حرص، فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه، أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام «إياك نعبد وإياك نستعين»، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته، فأمره بأن يعبده وأن يستعين به.

ثم قال: «ولا تعجز» فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله، ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحريص عليه مع الاستعانة بمن أزمَّة الأمور بيده ومصدرها منه ومردّها إليه، فإنْ فاته ما لم يقدّر له فله حالتان: حالة عجزٍ وهي مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى (لَوْ)، ولا فائدة في لَوْ ههنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان.

فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وَأَمَرَه بالحالة الثانية وهي النظر إلى القَدَرِ وملاحظته، وأنّه لو قدّر له لم يفته ولم يغلبه أحد، فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الربّ النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده.

فلهذا قال: «فإن غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا ولكن قل قدّر الله وما شاء فَعَلَ»، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول مطلوبه وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبداً، بل هو أشد شيء إليه

ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه، والله الموفِّق»[1].

هؤلاء الذين يحبهم الله في الكتاب والسنة، وفي معرفتهم فوائد عديدة:

(منها): أن لا يزال المتخلف المسكين مزرياً على نفسه ذامًّا لها.

(ومنها): أن لا يزال منكسر القلب بين يدي ربه تعالى ذليلاً له حقيراً يشهد منازل السابقين وهو في زمرة المنقطعين، ويشهد بضائع التجار وهو في رفقة المحرومين.

(ومنها): أنه عساه أن تنهض همته يوماً إلى التشبث والتعلق بساقة القوم ولو من بعيد.

(ومنها): أنه لعله أن يصدق في الرغبة واللجأ إلى من بيده الخير كله أن يُلحقه بالقوم ويهيئه لأعمالهم فيصادف ساعة إجابة لا يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه.

(ومنها): أن هذا العلم هو من أشرف علوم العباد، وليس بعد علم التوحيد أشرف منه، وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة ولا يناسب النفوس الدنيئة المهينة، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقله فليبشر بالخير فقد أهل له، فليقل لنفسه: يا نفس فقد حصل لك شطر السعادة فاحرصي على

---

(١) شفاء العليل (ص: ١٨ - ١٩).

الشطر الآخر، فإن السعادة في العلم بهذا الشأن والعمل به، فقد قطعت نصف المسافة فهلا تقطعين باقيها فتفوزين فوزاً عظيماً.

(ومنها): أن العلم بكل حال خير من الجهل، فإذا كان اثنان أحدهما عالم بهذا الشأن غير موصوف به ولا قائم به، وآخر جاهل به غير متصف به فهو خلو من الأمرين، فلا ريب أن العالم به خير من الجاهل، وإن كان العالم المتصف به خيراً منهما فينبغي أن يعطي كل ذي حق حقه وينزل في مرتبته.

(ومنها): أنه إذا كان العلم بهذا الشأن همه ومطلوبه فلا بد أن ينال منه بحسب استعداده ولو لحظة، ولو بارقة، ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه.

(ومنها): أنه لعله يجري منه على لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده، والله لا يضيع مثقال ذرة فعسى أن يرحم بذلك العامل.

وبالجملة ففوائد العلم بهذا الشأن لا تنحصر فلا ينبغي أن تصغي إلى من يثبطك عنه وتقول: إنه لا ينفع بل احذره واستعن بالله ولا تعجز ولكن لا تغتر، وفرق بين العلم والحال، وإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن قد صرت من أهله، هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنى وهو فقير، وبين الغني بالفعل، وبين العالم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم، وبين الصحيح بالفعل[1].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح.

إذا أعجبتك خصال امرئ
فكنه تكن مثل ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات
إذا جئتها حاجب يحجبك[1].

فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فهذا هو العلم الذي شمّر إليه أولو الهمم والعزائم، واستبق إليه أصحاب الخصائص والمكارم[2].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٠٦).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٨١).

صلاة المحبين

الصلاة قرة عيون المحبين في هذه الدنيا، لما فيها من مناجاة من لا تقر العيون إلا به، ولا تطمئن ولا تسكن النفس إلا إليه[1]، والتنعم بذكره والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه[2]، والتلذذ بالخضوع له، والقرب منه، ولا سيما في حال السجود[3]

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٣).

(٢) زاد المعاد (٢٠٩/٤).

(٣) كما في قوله ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»**.
أخرجه أحمد (٤٢١/٢) ومسلم (٤٩/٢ - ٥٠) وأبو داود (٨٧٥) وأبو عوانة (١٨٠/٢) والنسائي (١٧١/١) والبيهقي (١١٠/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين» (ص: ٢٢ - ٢٣): «وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ﴾** [البقرة: ١٨٦] فهذا قربه من داعيه، وقال تعالى:
﴿إن رحمتَ الله قريب من المُحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦].
فذكر الخبر وهو قريب عن لفظ الرحمة وهي مؤنثة إيذاناً بقربه تعالى من المحسنين، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين.
وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»** و **«أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل»**.
فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون. =

وتلك الحال أقرب ما يكون العبد من ربه فيها[1].

فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذّ لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إذا كان محباً[2].

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه. فوجد نشاطاً وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها. فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[3] ولم يقل: أرحنا منها، وقال ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[4]. فمن جعلت قرة عينه في الصلاة، كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها[5]؟

فقرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها، ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة بالله

= وفي الصحيح من حديث أبي موسى أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير فقال: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعني فأي حاجة بكم إلى رفع الأصوات وهو لقربه يسمعها وإن خفضت، كما يسمعها إذا رفعت، فإنه سميع قريب، وهذا القرب هو من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر...».

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٦٤ و ٣٧١) وأبو داود (٤٩٨٥ و ٤٩٨٦) بسند حسن.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الوابل الصيب (ص: ٣٧).

وحضور بين يديه ومناجاة له واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين؟ وكيف تقر عين المحب بسواها[1]؟ فأين هذا من قول من يقول: نصلي ونستريح من الصلاة؟

فالمحب راحته وقرة عينه في الصلاة، والغافل المعرض ليس له نصيب من ذلك، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه، إذا قام فكأنه على الجمر حتى يتخلص من واجب الصلاة، وعجلها وأسرعها، فهو ليس له قرة عين فيها، ولا لقلبه راحة بها[2].

فهي كبيرة على هذا، وقرة عين وراحة لذلك[3].

والعبد إذا قرت عينه بشيء، واستراح قلبه به، فأشق ما عليه مفارقته، والمتكلف الفارغ القلب من الله والدار الآخرة، المبتلى بحب الدنيا، أشق ما عليه الصلاة، وأكره ما إليه طولها، مع تفرغه وصحته، وعدم أشغاله.

ومما ينبغي أن يعلم أن الصلاة التي تقر بها العين، ويستريح بها القلب، هي التي تجمع ستة مشاهد[4]:

المشهد الأول ـ الإخلاص[5]:

وهو أن يكون الحامل عليها، والداعي إليها: رغبة العبد

(١) طريق الهجرتين (ص: ٤٠).
(٢) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٤).
(٣) الصلاة وحكم تاركها (ص: ١٧٠).
(٤) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٤).
(٥) قال ابن القيم رحمه الله في «الفوائد» (ص: ٦٤): «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه». =

في الله، ومحبته له، وطلبه مرضاته، والقرب منه، والتردد إليه، وامتثال أمره، بحيث لا يكون الباعث له عليها حظاً من حظوظ الدنيا البتة، بل يأتي بها ابتغاء وجه ربه الأعلى، محبة له، وخوفاً من عذابه، ورجاءً لمغفرته وثوابه[1].

المشهد الثاني ـ مشهد الصدق والنصح:

وهو أن يفرغ قلبه لله فيها، ويستفرغ جهده في إقباله فيها على الله، وجمع قلبه عليها، وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها، ظاهراً وباطناً.

فإن الصلاة لها ظاهر وباطن. فظاهرها الأفعال المشاهدة، والأقوال المسموعة. وباطنها الخشوع والمراقبة، وتفريغ القلب لله، والإقبال بكليته على الله فيها، لا يلتفت قلبه عنه إلى غيره، فهذا بمنزلة الروح لها، والأفعال بمنزلة البدن، فإذا خلت من الروح كانت كبدن بلا روح.

أفلا يستحي العبد أن يواجه سيده بمثل ذلك؟[2].

فإذا جاء وقت الصلاة بادر المحب إليها مكملاً لها ناصحاً فيها لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه الذي قد طلب منه أن يعمل له شيئاً ما، فهو لا يبقي مجهوداً، بل يبذل

= **واعلم يا أخي بأنّ عقبة الإخلاص عقبة كؤود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود. نفعها كثير، وقطعها شديد، وخطرها عظيم،**

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٤ ـ ٣٥).

(٢) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٥).

مقدوره كله في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعاً من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه. أفلا يستحي العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون في عمله هكذا وهو يرى المحبين في أشغال محبوبيهم من الخلق كيف يجتهدون في إيقاعها على أحسن وجه وأكمله؟

بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة[1]. ومن أنصف نفسه وعرف **أعماله استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئاً إلا فعله[2].**

المشهد الثالث ـ مشهد المتابعة والاقتداء:

وهو أن يحرص كل الحرص على الاقتداء في صلاته بالنبي ﷺ، فيصلي كما كان يصلي[3]، ويعرض عما أحدث الناس في الصلاة من الزيادة والنقصان، والأوضاع التي لم ينقل عن رسول الله ﷺ شيء منها، ولا عن أحد من الصحابة.

ولا تقف عند أقوال المرخصين الذين يقفون مع أقل ما يعتقدون وجوبه، ويكون غيرهم قد نازعهم في ذلك، وأوجب ما أسقطوه.

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢١٤) بتصرف.

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٢١٤).

(٣) انظر لزاماً الكتاب الفذ المستطاب «صفة صلاة النبي ﷺ» للمحدث الفاضل محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله.

ولعل الأحاديث الثابتة، والسنّة النبوية من جانبه، ولا يلتفتون إلى ذلك، ويقولون: نحن مقلدون لمذهب فلان وفلان[1].

وهذا لا يخلص عند الله تعالى، ولا يكون عذراً لمن تخلف عما علمه من السنة، فإن الله تعالى إنما أمر بطاعة رسوله واتباعه وحده، ولم يأمر باتباع غيره، وإنما يطاع غيره إذا أمر بما أمر به الرسول ﷺ. وكل أحد سوى الرسول ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك[2].

قد أقسم سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة أنّا لا نؤمن حتى نحكِّم الرسول فيما شجر بيننا، وننقاد لحكمه، ونسلِّم تسليماً[3].

---

(١) لعل قائلاً يقول: **فما أصنع بالأحاديث التي صحت بعد موت إمامي، ولم يأخذ بها؟ فالجواب: الذي ينبغي لك أنك تعمل بها، فإن إمامك لو ظفر بها وصحت عنده لربما كان أمرك بها، فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة، ومن فعل مثل ذلك فقد حاز الخير بكلتا يديه. ومن قال: «لا أعمل بحديث إلا إن أخذ به إمامي» فاته خير كثير كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب. وكان الأولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً لوصية الأئمة، فإنّ اعتقادنا فيهم أنهم لو عاشوا وظفروا بتلك الأحاديث التي صحت بعدهم لأخذوا بها وعملوا بها وتركوا كل قياس كانوا قاسوه وكل قول كانوا قالوه».**

ومن أراد أن يتوسع بهذا الموضوع فعليه بكتاب «بدعة التعصب المذهبي» للأستاذ الفاضل محمد عيد العباسي.

(٢) قال أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» (ص: ٢٧٦): «سمعت أحمد يقول: **ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ**».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** [النساء: ٦٥].

فلا ينفعنا تحكيم غيره، ولا ينجينا من عذاب الله، ولا يقبل منا هذا الجواب إذا سمعنا نداءه سبحانه يوم القيامة يقول:

﴿ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥].

فإنه لا بد أن يسألنا عن ذلك ويطالبنا بالجواب، قال تعالى:

﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

فمن انتهت إليه سنّة رسول الله ﷺ وتركها لقول أحد من الناس، فسيرد يوم القيامة ويعلم(١).

المشهد الرابع ـ مشهد الإحسان:

وهو مشهد المراقبة، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه، وصفاته، حتى كأنه يرى الله سبحانه وتعالى فوق سماواته مستوياً على عرشه(٢)

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٦ ـ ٣٨) بتصرف.

(٢) قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «الإبانة» (ص: ٨٥ ـ ٨٦): «إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله عز وجل يستوي على عرشه كما قال: يليق به من غير طول الاستقرار، كما قال:

﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ [طه: ٥].

وقد قال الله عز وجل:

﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠].

وقال:

﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال عز وجل:

﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥].

وقال حكاية عن فرعون: =

يتكلم بأمره ونهيه، ويدبِّر أمر الخليقة، فينزل الأمر من عنده، ويصعد إليه، وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه.

فيشهد ذلك بقلبه، ويشهد أسماءه وصفاته، ويشهد قيوماً حياً سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً، آمراً ناهياً، يحب ويغضب، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ولا أقوالهم، ولا بواطنهم بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب

= ﴿يا هامان ابنِ لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله مُوسى وإني لأظنه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

فكذب فرعون نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في قوله إن الله عز وجل فوق السموات، وقال عز وجل:

﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦].

فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات، قال: أأمنتم من في السماء، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء.

فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: أأمنتم من في السماء - يعني جميع السموات - وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات، فقال:

﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ [نوح: ١٦].

ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، **ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض**».

وقال ابن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» (ص: ١٠١): «**فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية أنه استولى على عرشه لا استوى فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية**».

فليعتبر بهذا الكلام النفيس المشتغلون بعلم الكلام.

الإجلال والتعظيم، والخشية والمحبة، والإنابة والتوكل، والخضوع لله سبحانه، والذل له، ويقطع الوساوس وحديث النفس، ويجمع القلب والهم على الله.

فحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصلاة، حتى يكون بين صلاة الرجلين في الفضل كما بين السماء والأرض، وقيامهما وركوعهما وسجودهما واحد[1].

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها**»[2].

المشهد الخامس ـ شهود المنة:

أن يشهد أن المنة لله سبحانه في كونه أقامه في هذا المقام، وأهّله ووفقه لقيام قلبه وبدنه في خدمته، فلولا الله سبحانه لم يكن شيء من ذلك.

قال تعالى:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالله سبحانه هو الذي جعل المسلم مسلماً، والمصلي مصلياً، كما قال الخليل عليه السلام:

---

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣٨ ـ ٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٣١٩ ـ ٣٢١) وأبو داود (٧٩٦) بسند حسن.

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال:

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

فالمنة لله وحده في أن جعل عبده قائماً بطاعته، وكان هذا من أعظم نعمه عليه، وقال تعالى:

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد، وكلما كان العبد أعظم توحيداً كان حظه من هذا المشهد أتم.

وفيه من الفوائد: أنه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل ورؤيته، فإنه إذا شهد أن الله سبحانه هو المانّ به، الموفق له، الهادي إليه، شغله شهود ذلك عن رؤيةَ نفسه، والإعجاب بعمله، وأن يصول به على الناس.

فيرفع من قلبه فلا يعجب به، ومن لسانه فلا يمنّ به، ولا يستكثر به، وهذا شأن العمل المرفوع(١).

ومن فوائده: أن يضيف الحمد على وليه ومستحقه، فلا يشهد لنفسه حمداً، بل يشهده كله لله، كما يشهد النعمة كلها

---

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٤٠ ـ ٤١).

منه، والفضل كله له، والخير كله في يده، وهذا من كمال التوحيد.

فلا يستقر قلبه في مقام التوحيد إلا بعلم ذلك وشهوده، فإذا علمه ورسخ فيه صار له مشهداً، وإذا صار لقلبه مشهداً أثمر له من المحبة والأنس بالله، والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره وطاعته، ما لا نسبة بينه وبين أعلى نعيم الدنيا البتة.

وما للمرء خير في حياته إذا كان قلبه عن هذا مصدوداً، وطريق الوصول إليه عنه مسدوداً، بل هو كما قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣][1].

المشهد السادس ـ رؤية التقصير:

وهو أن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد، وبذل وسعه، فهو مقصِّر، وحق الله سبحانه عليه أعظم، والذي ينبغي أن يقابله به من الطاعة والعبودية فوق ذلك بكثير، وأن عظمته وجلاله سبحانه يقتضي من العبودية ما يليق بهما.

وإذا كان خدم الملوك وعبيدهم يعاملونهم في خدمتهم بالإجلال لهم، والتعظيم والاحترام والتوقير والحياء والمهابة والخشية والنصح، بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم لهم، فمالك الملوك، ورب السموات والأرض أولى أن يعامل بأضعاف ذلك.

وإذا شهد العبد من نفسه أنه لم يعرف لربه في عبوديته

---

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٤٢).

حقه، ولا قريباً من حقه، علم تقصيره وتفريطه، وعدم القيام بما ينبغي له من حقه، وأنه إلى أن يغفر له العبودية ويعفو عنه فيها أحوج منه إلى أن يطلب منه عليها ثواباً.

وهو لو وفّاها حقها لكانت مستحقة عليه بمقتضى العبودية، فإن خدمة العبد وعمله لسيده مستحق عليه بحكم كونه عبده ومملوكه، فإذا طلب منه الأجرة على عمله وخدمته لعدّه الناس أحمق أخرق. وهذا ليس هو عبده ومملوكه على الحقيقة، بل هو عبدالله ومملوكه على الحقيقة من كل وجه.

فعمله وخدمته مستحق عليه بحكم كونه عبده، فإذا أثابه عليه كان ذلك مجرد فضل ومنة وإحسان إليه لا يستحقه العبد(١).

ومن هنا كان قول النبي ﷺ: **«سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحداً الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»**(٢).

ومن علم هذا علم السر في كون أعمال الطاعات تختم بالاستغفار.

ففي صحيح مسلم عن ثوبان قال: **«كان رسول الله ﷺ إذا سلّم من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**(٣).

---

(١) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٤٢ ـ ٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/١٢٥) والبخاري (١١/٢٩٤) ومسلم (٨/١٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٧٥ و ٢٧٩ ـ ٢٨٠) ومسلم (٢/٩٤) والترمذي (٢٩٩) والنسائي (٣/٦٨) وابن ماجه (٩٢٨).

وقال تعالى:

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨].

فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل[١].

وأمر الله تعالى عباده بالاستغفار عقيب الإفاضة في الحج فقال:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩][٢].

وشرع للمتوضىء أن يقول بعد وضوئه: «**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**»[٣].

فهذه توبة بعد الوضوء، وتوبة بعد الحج، وتوبة بعد الصلاة، وتوبة بعد قيام الليل[٤]. وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع أعماله فهو يعلم أنه لا يوفّي هذا المقام حقه، فهو أبداً يستغفر الله عقيب كل عمل[٥]، وكلما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره[٦].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٨٧).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٨٧).

(٣) قطعة من حديث رواه الترمذي (٥٥) في الطهارة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٣).

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٢١٥).

(٥) المصدر السابق (ص: ٢١٤).

(٦) المصدر السابق(ص: ٢١٥).

فإذا استحضر المحب هذه المشاهد وصلى صلاة مودّع[1]، فإنّه «ينصرف من الصلاة وقد أثرت في قلبه وبدنه وسائر أحواله آثاراً تبدو على صفحاته ولسانه وجوارحه، ويجد ثمرتها في قلبه من الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور وقلة التكالب والحرص على الدنيا وعاجلها، قد نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر، وحببت إليه لقاء الله ونفّرته من كل قاطع يقطعه عن الله، فهو مغموم مهموم كأنه في سجن حتى تحضر الصلاة، فإذا حضرت قام إلى نعيمه وسروره وقرة عينه وحياة قلبه.

فهو لا تطيب له الحياة إلا بالصلاة»[2]، وهو مع ذلك كله يخاف أن لا تقبل منه.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: **«سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:**

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ **[المؤمنون: ٦٠].**

قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون بالخيرات وهم لها سابقون»[3].

---

(١) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني. قال: **«عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصلّ صلاتك وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه»** أخرجه الحاكم (٤/٣٢٦ ـ ٣٢٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٢٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦/١٥٩ و٢٠٥) وابن جرير (١٨/٢٦) والترمذي (٣١٧٥) والبغوي في تفسيره (٣/٣١٢) والحاكم (٢/٣٩٣ ـ ٣٩٤) وصححه ووافقه الذهبي.

والحامل له على هذا أمران:

أحدهما: شهود تقصيره ونقصانه.

والثاني: صدق محبته، فإن المحب الصادق يتقرب إلى محبوبه بغاية إمكانه، وهو معتذر إليه، مستحٍ منه: أن يواجهه بما واجهه به، وهو يرى أن قدره فوقه وأجلّ منه، وهذا مشاهد في محبة المخلوقين[1].

فلنحرص على إعطاء الصلاة «حقها من التكميل ظاهراً وباطناً»[2]، فإنّ لها «تأثيراً عجيباً في دفع شرور الدنيا»[3]. فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولا استجلبت مصالحهما بمثل الصلاة»[4].

فإنها «منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطردة للداء عن الجسد، ومنورة للقلب، ومبيضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة، وكاشفة للغمة»[5].

وهي «حافظة للصحة، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن»[6].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٤٢٦).

(٢) زاد المعاد (٤/٣٣٢).

(٣) زاد المعاد (٤/٣٣٢) بتصرف يسير.

(٤) المصدر السابق (٤/٣٣٢).

(٥) زاد المعاد (٤/٢٠٩).

(٦) المصدر السابق (٤/٣٣٢).

وبالجملة: فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المصلي منهما أقلّ، وعاقبته أسلم[1].

وسر ذلك أن الصلاة صلة بالله عز وجل، وعلى قدر صلة العبد بربه عزّ وجل تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل، والعافية والصحة، والغنيمة والغنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرات، كلها محضرة لديه ومسارعة إليه[2].

واعلم يا أخي بأن «للعبد بين يدي الله موقفين: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول هوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدّد عليه ذلك الموقف. قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦ - ٢٧]»[3].

---

(١) زاد المعاد (٤/٣٣٢).

(٢) المصدر السابق (٤/٣٣٢).

(٣) الفوائد (ص: ٢٥٨) بتصرف يسير.

ثمرات المحبة

١ ــ الشوق[١] إلى لقاء الله: الشوق إلى لقاء الله أرفع درجات النعيم وغاية الأماني لكل قلب سليم. ومن منح الشوق انقطعت عنه حاجات الدنيا والآخرة، وأولاهم بالله أشدهم له شوقاً[٢].

واعلم بأن الشوق إلى لقاء الله ينشأ من قوة محبة الله عز وجل[٣]. فإن الحامل على الشوق هو المحبة، ولهذا يقال: لمحبتي له اشتقت إليه وأحببته فاشتقت إلى لقائه.

فالمحبة بذر في القلب والشوق بعض ثمرات ذلك البذر. فمنزلة الشوق من المحبة منزلة الهرب من البغضاء والكراهة. فإن القلب إذا أبغض الشيء وكرهه جد في الهرب منه، وإذا أحبه جد في الهرب إليه وطلبه فهو حركة القلب في الظفر بمحبوبه، ولشدة ارتباط الشوق بالمحبة يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ويفهم منه، ويعبّر به عنه[٤].

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «شرح حديث عمار بن ياسر» (ص: ٤٥): «**أما الشوق إلى لقاء الله في الدنيا فهو أعظم لذة تحصل للعارفين في الدنيا. فمن أنس بالله في الدنيا واشتاق إلى لقائه فقد فاز بأعظم لذّة يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار**».

(٢) فيض القدير (٢/١٣٨).

(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٩٣) بتصرف.

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٣٢٨).

وبـالجملة فقلب المحب دائمـاً في سفـر لا ينقضي نحـو محبوبه، كلما قطع مرحلة ومنزلة تبدت له أخرى كما قيل: «إذا قطعت علماً بدا علم».

فقوة تعلق المحب بمحبوبه توجب له أن لا يستقر قلبه دون الوصول إليه، وكلما هدأت حركاته وقلّت شواغله، اجتمعت عليه شؤون قلبه، بله قوي سيره إلى محبوبه[1].

عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم ـ هو أبي، غير أنه كنى عن نفسه ـ فسألته عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: **«اللهمَّ بعلمك الغيبَ، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهمَّ وأسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحقِّ والعدل في الغضب والرضى، وأسألك القصدَ في الفَقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برْد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك في غير ضراء مُضرَّة ولا فتنة مضلَّة**[2]، ....

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٦).

(٢) وإنما قال: في غير ضراء مضرّة، ولا فتنة مضلة «والله أعلم، **لأن محبة لقاء الله وهو محبة الموت تصدر غالباً: إما عن ضراء وهي ضراء الدنيا وقد نهي عن تمني الموت حينئذ، وإما من فتنة مضلة وهي خشية الفتنة في الدين، وهو غير منهي عنه في هذا الحال. والمسؤول ها هنا الشوق إلى لقاء الله الناشىء عن غير هذين** =

اللهم زيِّنَّا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين»[1].

فجمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا، وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلى وجهه سبحانه. ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفاً على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين قال: «في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلّة».

ولما كان كمال العبد في أن يكون عالماً بالحق متبعاً له معلماً لغيره، مرشداً له قال: **«واجعلنا هداة مهتدين»**.

ولمّا كان الرضى المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله، فإن ذلك عزم على الرضى، فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم، سأل الرضى بعده، فإنّ المقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه[2] والرضى بعد وقوعه، فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما.

= **الأمرين بل عن محض المحبة»** استنشاق نسيم الأنس (ص: ٩٣ - ٩٤).

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٦٤) والنسائي (٣/٥٤ - ٥٥) والحاكم (١/٥٢٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) اعلم رحمك الله بأنه يشرع للمسلم الاستخارة في جميع الأمور، فربّ حقير يترتب عليه الأمر العظيم.

عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمور كلّها كالسّورة في القرآن: **«إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثمّ** يقول: **اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني** =

ولما كانت خشية الله عز وجل رأس كل خير في المشهد والمغيب، **سأله خشيته في الغيب والشهادة.**

ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق في رضاه، فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضاً رضاه في الباطل، **سأل الله عز وجل أن يوفقه لكلمة الحق في الغضب والرضا،** ولهذا قال بعض السلف: «لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق».

ولما كان الفقر والغنى بليتين ومحنتين، يبتلي الله بهما عبده، ففي الغنى يبسط يده، وفي الفقر يقبضها، **سأل الله عز وجل القصد في الحالين،** وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير.

ولما كان النعيم نوعين: نوعاً للبدن، ونوعاً للقلب، وهو قرة العين وكماله بدوامه واستمراره، جمع بينهما في قوله: «أسألك نعيماً لا يبيد، وأسألك قرة **عين** لا تنقطع».

ولما كانت الزينة زينتين: زينة البدن، وزينة القلب، وكانت زينة القلب أعظمها قدراً وأجلّها خطراً، وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل الوجوه في العقبى، **سأل ربّه الزينة الباطنة فقال: «زيّنا بزينة الإيمان».**

= عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثمَّ رضني به. ويسمي حاجته» أخرجه البخاري (٦٣٨٢).

قال الحافظ في «الفتح»: «وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم... وفيه أن العبد لا يكون قادراً إلا مع الفعل لا قبله، والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه، فإنه يجب على العبد ردّ الأمور كلها إلى الله والتبري من الحول والقوة إليه، وأن يسأل ربه في أموره كلها».

ولما كان العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد كائناً من كان، بل هو محشوٌ بالغصص والنكد، ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة، سأل برد العيش بعد الموت[1].

والمقصود: أن النبي ﷺ سأل ربه «أن يهب له شوقاً إلى لقائه مصاحباً للعافية والهداية. فلا تصحبه فتنة ولا محنة، وهذا من أجلّ العطايا والمواهب. فإنّ كثيراً ممن يحصل له هذا لا يناله إلا بعد امتحان واختبار: هل يصلح أم لا؟ ومن لم يمتحن ولم يختبر فأكثرهم لم يؤهّل لهذا. فتضمن هذا الدعاء: حصول ذلك والتأهيل له، مع كمال العافية بلا محنة، والهداية بلا فتنة وبالله التوفيق»[2].

وهذا الشوق مشحون بالبر، فيفعل ـ أي المحب ـ البرّ تقرّباً إلى من هو مشتاق إليه، فهو يجيش بأنواع البر.

وهذه من فوائد المحبة أن قلب صاحبها تغشاه مبارّ الله ونعمه على الدوام[3].

فالشوق يحمل المشتاق على الجدّ في السير إلى محبوبه، ويقرّب عليه الطريق، ويطوي له البعيد، ويهوّن عليه الآلام والمشاقّ[4]، وهو «رأس مال العبد وملاك أمره وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه وقرّة عينه»[5] الباعث على كمال

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٨ ـ ٢٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٢٢).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٤) زاد المعاد (٣/١٧).

(٥) روضة المحبين (ص: ٤٠٨).

الاستعداد، وعلى خفة أعباء السير، والمزيل لكل فتور، والحامل على كلّ صدق وإخلاص، وإنابة وصحة معاملة[1]. وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده.

ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال، هما السبب الذي تنال به، والله سبحانه سميع لتلك الأقوال، عليم بتلك الأفعال، وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة ويشكرها، ويعرف قدرها، ويحب المنعم عليه، فتصلح عنده هذه النعمة، ويصلح بها كما قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه، فليقرأ على نفسه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2] [الأنعام: ٥٣].

وإذا كان الشوق هو سفر القلب في طلب محبوبه ونزوعه إليه، فهو من أشرف مقامات العبيد وأجلها وأعلاها. ومن أنكر شوق العبد إلى ربه فقد أنكر محبته له، لأن المحبة تستلزم الشوق.

فالمحب دائماً مشتاق إلى لقاء محبوبه: لا يهدأ قلبه ولا يقر قراره إلا بالوصول إليه[3].

ومحكّ هذا الحال يظهر في مواطن أربعة:

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٢١).
(٢) زاد المعاد (٣/ ١٧).
(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣٣١).

أحدها: عند أخذ مضجعه وتفرّغ حواسه وجوارحه من الشواغل، واجتماع قلبه على ما يحبه، فإنّه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه[1].

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة فإنها محكّ الأحوال وميزان الإيمان، بها يوزن إيمان الرجل ويتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه، فإنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقرّ لعين المحب ولا ألذّ لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إذا كان محبّاً. فإنه لا شيء آثر عند المحبّ ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه وقد أقبل محبوبه عليه، وكان قبل ذلك معذباً بمقاساة الأغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم، فإذا قام إلى الصلاة هرب مِنْ سوى الله إليه وآوى عنده واطمأنَّ بذكره وقرّت عينه بالمثول بين يديه ومناجاته، فلا شيء أهمّ إليه من الصلاة، كأنه في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة، فيجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح، كما قال النبي ﷺ لبلال: «**يا بلال، أرحنا بالصلاة**»[2] ولم يقل: أرحنا منها كما يقول المبطلون الغافلون[3].

فالصلاة قرة عيون المحبين وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، يحملون هم الفراغ منها إذا دخلوا فيها

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٧).

كما يحمل الفارغ البطال همها حتى يقضيها بسرعة، فلهم فيها شأن وللنقارين شأن، يشكون إلى الله سوء صنيعهم بها إذا ائتموا بهم كما يشكو الغافل المعرض تطويل إمامه، فسبحان من فاضل بين النفوس وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم.

وبالجملة فمن كان قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها، ويود أن لو قطع عمره بها غير منشغل بغيرها، وإنما يسلي نفسه إذا فارقها، بأنه سيعود إليها عن قرب، فهو دائماً يثوب إليها ولا يقضي منها وطراً. فلا يزن العبد إيمانه ومحبته لله بمثل ميزان الصلاة، فإنها الميزان العادل، الذي وزنه غير عائل.

الموطن الرابع: عند الشدائد والأهوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده[1].

والسر في هذا ـ والله أعلم ـ أن عند مصائب الشدائد والأهوال يشتد خوف القلب من فوات أحب الأشياء إليه، وهي حياته التي لم يكن يؤثرها إلا لقربه من محبوبه، فهو إنما يحب حياته لتنعمه بمحبوبه، فإذا خاف فوتها بدر إلى قلبه ذكر المحبوب الذي يفوت بفوات حياته.

ولهذا ـ والله أعلم ـ كثيراً ما يعرض للعبد عند موته لهجه بما يحبه وكثرة ذكره له، وربما خرجت روحه وهو يلهج به[2]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ النبي ﷺ بنتاً له

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٧ ـ ٣٠٨).
(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٨).

تقضي فاحتضنها فوضعها بين ثدييه، فماتت وهي بين ثدييه، فصاحت أم أيمن، فقيل: أتبكي عند رسول الله ﷺ؟! قالت: ألست أراك تبكي يا رسول الله؟ قال: «**لست أبكي، إنما هي رحمة، إن المؤمن بكل خير، على كل حال، إن نفسه تخرج من بين جنبيه وهو يحمد**[1] **الله عز وجل**»[2].

وذكر ابن أبي الدنيا في (كتاب المحتضرين) عن زفر أنه جعل يقول عند موته: لها ثلاثة أخماس الصداق، لها ربع الصداق، لها كذا ومات، لامتلاء قلبه من محبة الفقه والعلم.

وأيضاً فإنه عند الموت تنقطع شواغله وتبطل حواسه، فيظهر ما في القلب ويقوى سلطانه، فيبدو ما فيه من غير حاجب ولا مدافع[3].

وكثيراً ما سمع من بعض المحتضرين عند الموت: شاه مات[4] وسمع من آخر بيت شِعر لم يزل يغني به حتى مات وكان مغنياً[5].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأخبرني من حضر بعض

---

(١) قال المناوي في «الفيض» (٦/٢٥٤): «لأن الدنيا سجنه وأمنية المسجون إخراجه من سجنه فعينه ممتدة إلى باب السجن فإذا استشرف الإذن له بالخروج حمد الله على خلاصه من السجن وشوق إلى ربه».

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٧٣ - ٢٧٤ و٢٩٧) والنسائي (٤/١٢) والبزار (٨٠٨) بسند صحيح.

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٨).

(٤) لأنه كان مشغولاً بلعب الشطرنج.

(٥) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٨).

الشحاذين عند موته، فجعل يقول: لله فلس لله، فلس لله، حتى قضى.

وأخبرني رجل عن قرابة له أنه حضره عند الموت ـ وكان تاجراً يبيع القماش ـ قال فجعل يقول: هذه قطعة جيدة، هذه على قدرك، هذه مشتراها رخيص يساوي كذا وكذا حتى مات والحكاية في هذا كثيرة جداً»[1].

فمن كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله[2][3]، و يقدم

(١) الجواب الكافي (ص: ١٠٦).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٨).

(٣) كما في قوله ﷺ: **«الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة! كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها، حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل»** أخرجه أحمد (٢/٣٦٤) وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة بسند صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الحديث المذكور في قبض روح المؤمن وأنه يصعد بها إلى السماء التي فيها الله، فهذا حديث معروف جيد الإسناد، قوله: «فيها الله» بمنزلة قوله تعالى:

﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمُورُ * أم أمنتم من في السماء أن يُرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧].

وبمنزلة ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لجارية معاوية بن الحكم: **«أين الله؟»** قالت: في السماء، قال: **«من أنا»** قالت: أنت رسول الله، قال: **«أعتقها فإنها مؤمنة»**.

وليس المراد بذلك أن السماء تحصر الرب وتحويه، كما تحوي الشمس والقمر وغيرهما، فإن هذا لا يقوله مسلم، ولا يعتقده عاقل، فقد قال سبحانه وتعالى: =

على الله تعـالى قدوم العبـد المحسن المشتاق إلى مـولاه، الذي تحمّل مشاقّ الأعمال ووعثاء الأسفار طمعاً في لقائه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلاً عمـا يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعـام.

ومن كان مشغولاً بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره معه عند الموت ما لم تدركه عناية من ربه.

ولأجل هذا كان جديراً بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد. فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته[1].

٢ ـ النعيم والسرور: فإن نعيم المحبـة في الدنيـا رقيقة

= ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة: ٢٥٥].
والسموات في الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والرب سبحانه فوق سمواته، على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاتـه.
بل معنى ذلك أنه فوق السموات وعليها، بائن من المخلوقات، كما أخبر في كتابه عن نفسه أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش.
وقال:
﴿يا عيسى إني مُتَوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمّران: ٥٥].
وقال تعالى:
﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤].
وقال:
﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨].
وأمثال ذلك في الكتاب والسنّة...» [مجموع الفتاوى (٤/٢٧١ ـ ٢٧٢)].

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

ولطيفة من نعيم الجنة في الآخرة، بل هو جنة الدنيا[1]**، وسرور النفس**[2]**، ولـذة الأرواح**[3] **وغذاؤهـا ودواؤها بـل حياتهـا وقـرة عينها**[4]**، لا يشبهـه شيء من نعيم الدنيا البتة، وليس له نـظير يقاس به**[5].

و «المحب لا يفارقه السرور»[6]، ويجد حلاوة في قلبه فوق كل حلاوة، ويحصل له نعيم أتمّ من كل نعيم، وتناله لذة أعلى من كل لذة[7]، ومن ذاق مقام المحبة عرف صحة[8] هذا الكلام.

فقد كان يقول بعض من ذاق هذه اللذة: «**لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف**».

وقال آخر: «**إنه ليمرّ بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيّب**»[9].

وقال بعض المحبين: «**مساكين أهـل الدنيـا، خرجـوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبـة الله، والأنس بـه، والشـوق إلى لقـائـه والإقبـال عليـه، والإعراض عمّا سواه**»[10].

---

(١) مدارج السالكين (٣/٣١٢).

(٢) زاد المعاد (٢/٢٥).

(٣) الجواب الكافي (ص: ٢٨١).

(٤) زاد المعاد (٢/٥٢).

(٥) مدارج السالكين (٢/٦٧).

(٦) مدارج السالكين (٢/٣١٢).

(٧) إغاثة اللهفان (٢/١٩٧) بتصرف.

(٨) مدارج السالكين (٣/٣١٢).

(٩) الجواب الكافي (ص: ١٤٢).

(١٠) مدارج السالكين (١/٤٥٤).

وقال بعض المحبين: «**إن حبه عز وجل شغل قلوب محبيه عن التلذذ بمحبة غيره، فليس لهم في الدنيا مع حبه عز وجل لذة تداني محبته، ولا يؤملون في الآخرة من كرامة الثواب أكبر عندهم من النظر إلى وجه محبوبهم**»[1].

فصاحب هذه اللذة في جنة عاجلة نسبتها إلى لذات الدنيا، كنسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا.

فإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به والأنس بقربه والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا[2].

ويكفي في فضل هذه اللذة وشرفها أنها تخرج من القلب ألم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا حتى إنه ليتألم بأعظم ما يلتذ به أهلها، ويفر منه فرارهم من المؤلم.

وهذا موضع الحاكم فيه الذوق لا مجرد لسان العلم[3] وكل من له قلب حي يشهد هذا ويعرفه ذوقاً[4].

ولا ريب أنّ هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عزّ وجلّ، وبذل الجهد في طلبه، وابتغاء مرضاته. ومن لم يجد هذا السرور، ولا شيئاً منه، فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان

---

(١) روضة المحبين (ص: ١٨١).
(٢) روضة المحبين (ص: ١٨٠).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٨٠)
(٤) مدارج السالكين (١/٤٥٤).

حلاوة، ومن لم يذقها فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان.

وقد ذكر النبي ﷺ ذوق حلاوة الإيمان ووجد حلاوته. فذكر الذوق والوجد وعلّقه بالإيمان فقال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»[1].

وقال: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومن كان يحبّ المرء لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: **إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتّهمه، فإن الرب شكور.** يعني أنه لا بدّ أن يثيب العامل على عمله في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه، وقوة انشراح وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول[3].

ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب، والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتمّ، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٠٨) ومسلم (٢/٢ - نووي).
نقل النووي في «شرح مسلم» (٢/٢) عن القاضي عياض قوله: «ومعنى الحديث: **صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه. لأن من رضي أمراً سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذّت له، والله أعلم**».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مدارج السالكين (٢/٦٧ - ٦٨) بتصرف يسير.

فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب، وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه[1].

إذا عرف هذا، فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذته، تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استترت عنه، وتوارت، أو نقصت أو ذهبت. فإنها لو كانت موجودة كاملة لما قدّم عليها لذة وشهوة لا نسبة بينها وبينها بوجه ما، بل هي أدنى من حبة خردل بالنسبة إلى الدنيا وما فيها[2].

ولهذا تجد العبد إذا كان مخلصاً منيباً إليه، مطمئناً بذكره، مشتاقاً قلبه إلى لقائه، منصرفاً عن هذه المحرّمات، لا يلتفت إليها، ولا يعوّل عليها، ويرى استبداله بها عما هو فيه كاستبداله البعر الخسيس بالجوهر النفيس، وبيعه الذهب بأعقاب الجزر، وبيع المسك بالرجيع[3].

وبالجملة «**فنعيم المحب دائم، وإن مزج بالآلام أحياناً. فلو عرف المشغولون بغير الحق سبحانه ما فيه أهل محبته وذكره ومعرفته من النعيم: لتَقطّعت قلوبهم حسرات، ولعلموا أن الذي حصّلوه لا نسبة له إلى ما ضيّعوه وحُرموه**»[4].

٣ ـ **التسلي عن المصائب**: فإن المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره[5]،

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٩٧ ـ ١٩٨).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/١٩٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) مدارج السالكين (٣/٣١٢).

(٥) المصدر السابق (٣/٣٦).

فإذا سلم له محبوبه لم يبال بما فاته، فلا يجزع على ما ناله، فإنه يرى في محبوبه عوضاً عن كل شيء، ولا يرى في شيء غيره عوضاً عنه أصلاً[1]، فكل مصيبة عنده هينة إذا أبقت عليه محبوبه[2].

ولو لم يكن في المحبة من الفوائد إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها شرفاً، فإن المصائب لازمة للعبد لا محيد له عنها، ولا يمكن دفعها بمثل المحبة.

وهكذا مصائب الموت وما بعدها إنما تسهل وتهون بالمحبة، وكذلك مصائب القيامة، وأعظم المصائب مصيبة النار، ولا يدفعها إلا محبة الله وحده ومتابعة رسوله ﷺ.

فالمحبة أصل كل خير في الدنيا والآخرة، كما قال سمنون: «**ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة فإن النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب»[3] فهم مع الله**»[4].

---

(١) قال الشاعر:

من كل شيء إذا ضيّعته عوض ... وما مِنْ الله إنْ ضيّعته عوض

ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» (١٩٢/٤).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٠٤/٣ و ١١٠ و ١٥٩ و ١٦٥ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٨ و ١٩٢ و ١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢١٣ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٥٥ و ٢٦٨ و ٢٧٦ و ٢٨٣ و ٢٨٨ و ٣٣٦ و ٣٩٤) والبخاري (٥٥٧/١٠) ومسلم (٤٢/٨) وأبو داود (٥١٢٧) والترمذي (٢٣٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن مسعود وأبي موسى عند أحمد والشيخين، وعن صفوان بن عسّال عند أحمد والترمذي.

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٣٢٢).

ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة المحبةُ والوصول والاصطناع والقرب. فهذا هو الذي يصلح وكفى بذلك شرفاً وفضلاً[1].

٤ ـ **انشراح الصدر**: وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر، وطيب النفس، ونعيم القلب، لا يعرفه إلا من له حس به، **وكلما كانت المحبة أقوى كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلا عند رؤية البطّالين الفارغين من هذا الشأن، فرؤيتهم قذى عينه، ومخالطتهم حُمَّى روحه** [2].

قال الله تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فأي نعيم أطيب من شرح الصدر؟ وأيّ عذاب أمرّ من ضيق الصدر[3]؟.

فالمحبّ لله **«مِنْ أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدراً، وأسرّهم قلباً، وهذه جنّة عاجلة قبل جنة الآجلة»**[4].

٥ ـ **قطع الوسواس**: إنّما كانت المحبّة قاطعة للوسواس لإحضار المحب قلبه بين يدي محبوبه. والوسواس إنما ينشأ من الغيبة والبعد، وأما الحاضر المشاهد فما له وللوسواس؟

---

(١) مدارج السالكين (٣/٣٨٢).

(٢) زاد المعاد (٢/٢٥).

(٣) الجواب الكافي (ص: ٢٣٤).

(٤) المصدرالسابق (ص: ٢٣٥).

فالموسوس يجاهد نفسه وقلبه ليحضر بين يدي معبوده، والمحب لم يغب قلبه عن محبوبه فيجاهده على إحضاره، فالوسواس والمحبة متنافيان.

ومن وجه آخر أن المحب قد انقطعت عن قلبه وساوس الأطماع لامتلاء قلبه من محبة حبيبه، فلا تتوارد على قلبه جواذب الأطماع والأماني لاشتغاله بما هو فيه.

وأيضاً فإنّ الوسواس والأماني إنما تنشأ من حاجته وفاقته إلى ما تعلّق طمعه به. وهذا عبد قد جنى من الإحسان، وأعطي من النعم ما سدّ حاجته وأغنى فاقته، فلم يبق له طمع ولا وسواس، بل بقي حبه للمنعم عليه وشكره له، وذكره إياه، في محلّ وساوسه وخواطره، لمطالعة نِعَم الله عليه، وشهوده منها ما لم يشهد غيره[1].

٦ ـ وكذلك من ثمراتها حمدُ المحبوب والرضى عنه، وشكره وخوفه ورجاؤه والتنعم بذكره والسكون إليه والأنس به والوحشة بغيره، وكل هذه من أحكام المحبة وثمراتها[2].

٧ ـ ومن أجلّ ثمرات المحبة وأعلاها وأعظمها «محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه»[3]. وما أعظم نعيم المحبّ إذا قَدِمَ على محبوبه بعد طول شوقه، وتمكّن من مشاهدته من غير منغِّص ولا مُكدِّر[4].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٢٠ ـ ٣٢١) بتصرّف.

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٢٨).

(٣) الحق الواضح المبين (ص: ٧٠).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٤٤).

عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنّةَ، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزَّ وجل**[1]، ثم تلا هذه الآية:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»[2].

ولا ريب أن الأمر هكذا وهو أجلّ مما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

ولا سيّما عند فوز المحبين هناك بمعيّة المحبوب، فإنَّ المرء مع من أحبّ[3].

فأيّ نعيم، وأيّ لذة، وأيّ قرة عين، وأيّ فوز يداني نعيم تلك المعيّة ولذّتها، وقرّة العين بها؟ وهل فوق نعيم قرّة العين بمعيّة المحبوب، الذي لا شيء أجلّ منه، ولا أكمل ولا أجمل: قرة عين البتّة؟

---

(١) قال العالم الرّباني ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١/٣٢): «فبيَّن النبي ﷺ أنّهم مع كمال تنعّمهم بما أعطاهم ربّهم في الجنة، لم يعطهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه، وإنما كان ذلك أحبّ إليهم لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرّة العين فوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين البتّة».
اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضرّاء مضرة ولا فتنة مضلّة.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٣٣٢ - ٣٣٣) ومسلم (٦/١٥ - ١٦) والترمذي (٢٥٥٢) وابن ماجه (١٨٧) وأبو عوانة (١/١٥٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/٨٠).

وهذا - والله - هو العلم الذي شمّر إليه المحبون، واللواء الذي أمّه العارفون وهو روح مسمّى «الجنة» وحياتها، وبه طابت الجنة، وعليه قامت[1].

٨ ـ **النجاة من النار**: عن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بأناس من أصحابه، وصبي بين ظهراني الطريق، فلمّا رأت أمّه الدواب خشيت على ابنها أن يوطأ، فسعت والهة، فقالت: ابني! ابني! فاحتملت ابنها، فقال القوم: يا نبي الله! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال رسول الله ﷺ: «**لا والله؛ لا يلقي الله حبيبه في النار**»[2].

هذه ثمرات المحبة «ولعلّها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار. وإلا فلو طهُرَت منّا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجرّدت الهمم للتلقي عن الله ورسوله، لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحِكَمِه ما تضمحلّ عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق»[3].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٤ و ٢٣٥) والحاكم (٤/ ١٧٧) وصححه على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٣) أعلام الموقِّعين (١/ ١٧٥).

كلمات نفيسة في المحبة

١ ـ إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب **أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كلّ حين بإذن ربها. أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهى.**

لا يزال سعي المحب صاعداً إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠][1].

٢ ـ **محبة الله** إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من **الجدّ في طاعته والنشاط لخدمته**، والحرص على مرضاته **والتلذذ بمناجاته**، والرضا بقضائه، **والشوق إلى لقائه والأنس بذكره**، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس[2]، والانفراد في الخلوات، **وخروج الدنيا من القلب**، ومحبة كل من يحبه الله، **وإيثاره على كل من سواه**[3].

٣ ـ القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته والشوق إليه

---

(١) مدارج السالكين (٣/٩).

(٢) **إلا أن يكون «الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها»** [الفوائد (ص: ٦٨)].

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٦٧).

والأنس به لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلقه بغيره[1]

٤ ـ **المحب** يهرب إلى العزلة والخلوة **بمحبوبه**، والأنس بذكره كهرب الحوت إلى الماء والطفل إلى أمه[2].

٥ ـ ليس **للعابد** مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا **للمحب** قرار إلا يوم المزيد. **اشتغل به في الحياة يكفك ما بعد الموت**[3].

٦ ـ **أعجب الصبر صبر المحبين**[4].

٧ ـ ليس العجب من قوله: (**يحبونه**)، وإنما العجب من قوله: (**يحبهم**)[5].

٨ ـ لو كان في قلبك **محبة** لبان أثرها على جسدك[6].

٩ ـ لو تغذّى القلب **بالمحبة** لذهبت عنه بطنة الشهوات[7].

١٠ ـ لو صحَّت **محبتك** لاستوحشت ممن لا يذكّرك **بالحبيب**. فواعجباً لمن يدّعي **المحبة** ويحتاج إلى من يذكّره **بمحبوبه**، فلا يذكره إلا بمذكر.

أقلّ ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر **المحبوب**[8].

---

(١) الفوائد (ص: ٤٣).

(٢) الفوائد (ص: ٩٠).

(٣) الفوائد (ص: ٩٠).

(٤) روضة المحبين (ص: ٤٣٤).

(٥) الفوائد (ص: ٩١).

(٦) المصدر السابق (ص: ١٠١).

(٧) المصدر السابق (ص: ١٠١).

(٨) المصدر السابق (ص: ١٠١).

١١ ـ لا تدخل **محبة الله** في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سـم الإبرة[١].

١٢ ـ إذا أحبَّ الله عبـداً اصطنعـه لنفسه واجتبـاه لمحبته واستخلصـه لعبادتـه، فشغل همـه به ولسـانه بـذكره وجـوارحه بخدمته[٢].

١٣ ـ إن القلوب مفطورة على محبته. فـإذا تعلقت **بحبه** هان عليها **ترك الذنوب والإصرار**[٣] **عليها والاستقلال منها**[٤].

١٤ ـ إذا **أحب الله عبداً** أنشأ في قلبه محبته[٥].

١٥ ـ **المحب** لا يستوعر طـريقاً تـوصله إلى **محبوبـه** ولا يستوحش فيها[٦].

١٦ ـ **المحبة** لا تظهر على المحب بلفظه وإنما تظهر عليه

---

(١) الفوائد (ص: ١٢٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٢٩).

(٣) **الإصرار على الصغيرة** كبيرة كما جاء في الحديث: «**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، وويل لأقماع القول، وويل للمصرين الذي يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون**» أخرجه أحمد (٢/١٦٥ و ٢١٩) والبخـاري في «الأدب المفرد» (ص: ٧٩) عن عبدالله بن عمرو بسند صحيح.
قال المناوي في «الفيض» (١/٤٧٤): «الأقماع بفتح الهمز جمع قمع بكسر القاف وفتح الميم وتسكن؛ الإناء الذي يجعل في رأس الـظرف ليملأ بـالمائـع، شبّه استماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها فكأنه يمر عليها مجتازاً كما يمر الشراب في القمع كذلك».

(٤) الفوائد (ص: ٢٢٠).

(٥) مدارج السالكين (٣/٣٩).

(٦) مفتاح دار السعادة (١/١٥٠).

بشمائله... **فإن دلالة الحال على المحبة أعظم من دلالة القال عليها**. بل الدلالة عليها في الحقيقة هو شاهد الحال لا صريح المقال. ففرق بين من يقول لك بلسانه إني أحبك ولا شاهد عليه من حاله، وبين من هو ساكت لا يتكلم وأنت ترى شواهد أحواله كلها ناطقة بحبه لك... **وبالجملة فشاهد الحب الذي لا يكذب هو شاهد الحال، وأما شاهد المقال فصادق وكاذب**[1].

١٧ ــ أطيب العيش: عيش المحب الواصل إلى محبوبه. وأمرّ العيش عيش من حيل بينه وبين محبوبه[2].

١٨ ــ علامة المحب الصادق أن يسعى في حصول **محبوب محبوبه** ويبذل جهده وطاقته فيها. ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة فالمبلغ عنه ساعٍ في حصول محابه فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه وهو نائبه وخليفته في أمته، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم وأهله[3].

١٩ ــ المحب الصادق الساعي في مراضي **محبوبه** الشاقة عليه، كلما تأمل ثمرة رضاه عنه وقبوله وسعيه، وقربه منه: تلذذ بتلك المساعي[4].

٢٠ ــ عيش المشتاق منغص حتى يلقى **محبوبه فهناك** تقر عينه، ويزول عن عيشه تنغيصه. وكذلك يزهد في الخلق غاية التزهيد، لأن صاحبه طالب للأنس بالله والقرب منه. فهو أزهد

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣١٤).
(٢) مدارج السالكين (٣/١٨٨).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/٧٣).
(٤) مدارج السالكين (٢/٥٢).

شيء في الخلق، إلا من أعانه على هذا المطلوب منهم وأوصله إليه، فهو أحبّ خلق الله إليه. ولا يأنس من الخلق بغيره، ولا يسكن إلى سواه. **فعليك بطلب هذا الرفيق فإن لم تظفر به فاتخذ الله صاحباً، ودع الناس كلهم جانباً**(١).

٢١ ـ المحبة التامة ميل القلب بكليّته إلى المحبوب... وكلما كان الميل أقوى: كانت الطاعة أتم، والتعظيم أوفر. وهذا الميل يلازم الإيمان، بل هو روح الإيمان ولُبُّه(٢).

٢٢ ـ المحب الصادق: من رضي بما يعامله به حبيبه(٣).

٢٣ ـ كل محب فهو مشتاق إلى لقاء حبيبه، مؤثر لمراضيه(٤).

٢٤ ـ المحب يستكثر من محبوبه كل ما يناله: فإذا ذكره بشيء وأعطاه إياه: كان سروره بذكره له، وتأهيله لعطائه: أعظم عنده من سروره بذلك العطاء بل يغيب بسروره بذكره له عن سروره بالعطية(٥).

٢٥ ـ المحب الصادق: لا بد أن يقارنه أحياناً فرح بمحبوبه، ويشتد فرحه به، ويرى مواقع لطفه به، وبره به، وإحسانه إليه، وحسن دفاعه عنه، والتلطف في إيصاله المنافع

---

(١) مدارج السالكين (٢/٥٤).
(٢) المصدر السابق (٢/١٨٦).
(٣) المصدر السابق (٢/٢٠٥).
(٤) المصدر السابق (٢/٢٣٠).
(٥) مدارج السالكين (٢/٣٢٥).

والمسار والمبارّ إليه بكل طريق، ودفع المضار والمكاره عنه بكل طريق[1].

٢٦ ـ من أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته[2].

٢٧ ـ المحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حبّ المحبوبات وبغض المكروهات، قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤][3].

٢٨ ـ المحب الصادق إن نطق نطق لله وبالله وإن سكت سكت لله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فسكونه استعانة على مرضات الله **فهو لله وبالله ومع الله**[4].

٢٩ ـ محبة الله تعالى، ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، **هو جنة الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين**. وإنما تقر أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه

---

(١) مدارك السالكين (٢/٣٥٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/١٦٠).

بالله، قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله، تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات[1].

٣٠ ـ المحبة هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها. وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلّهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح، وهذا الأمر لا يصدّق به إلا من فيه حياة[2].

٣١ ـ الإقبال على الله تعالى[3] والإنابة إليه، والرضى به وعنه، **وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثواب عاجل، وجنة، وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة**[4].

٣٢ ـ لو لم يكن في محبة الله إلا أنها تنجي من عذابه لكان ينبغي للعبد أن لا يتعوّض عنها بشيء أبداً[5].

٣٣ ـ أطيب العيش وألذه على الإطلاق **عيش المحبين**

---

(١) الوابل الصيب (ص: ٩٧ ـ ٩٨).

(٢) الجواب الكافي (ص: ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في «روضة المحبين» (ص: ٤١٨): **«يكفي في الإقبال على الله تعالى ثواباً عاجلاً أنَّ الله سبحانه وتعالى يقبل بقلوب عباده إلى من أقبل عليه، كما أنه يعرض بقلوبهم عمن أعرض عنه، فقلوب العباد بيد الله لا بأيديهم».**

(٤) الوابل الصيب (ص: ٩٦).

(٥) روضة المحبين (ص: ٤١٨).

المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة، ولا حياة للقلب أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها، وهي الحياة الطيبة في قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧][1].

٣٤ ـ إنما تكون **المحبة الصادقة** إذا بذل فيها **المحب** ما يملكه من مال ورياسة وقوة في مرضاة محبوبه والتقرب إليه، **فإن بذل له روحه كان هذا أعلى درجات المحبة**[2].

٣٥ ـ **محبة الرب لعبده سبقت محبة العبد له سبحانه**. فإنه لولا محبة الله لما جعل محبته في قلبه، فإنه ألهمه حبه وآثره به، فلما أحبه العبد جازاه على تلك المحبة محبة أعظم منها، فإنه من تقرّب إليه شبراً تقرّب إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليه ذراعاً تقرّب إليه باعاً، ومن أتاه مشياً أتاه هرولة، وهذا دليل على أن **محبة الله لعبده الذي يحبه فوق محبة العبد له**[3].

٣٦ ـ **محبة الله**... هي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه فإن **المحب لمن يحب مطيع**، وكلّما قوي سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة وترك المخالفة أقوى، وإنما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة وسلطانها[4].

---

(١) الجواب الكافي (ص: ٢١٨).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ١٢٠).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٢٤٢).

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٢٧١).

٣٧ ـ تعرّف ربّ العزّة إلى المحبين بأسمائه وصفاته، فعملوا على اللقاء وأنت مشغول في الجيف[١].

٣٨ ـ المحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علّام الغيوب[٢].

٣٩ ـ إذا تمكنت المحبة في القلب، وامتلأ القلب منها أخرجت من القلب محبة كل ما يكرهه الله فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه، فلم تنبعث الجوارح إلا إلى الطاعات التي تقتضي التقرب إلى الله وصارت النفس حينئذٍ مطمئنة[٣].

٤٠ ـ من أحبّ الله عز وجل أحبه الله سبحانه، ومن أحبه الله سبحانه: فقد فاز بما لا يساويه شيء مع استلزامه حبه عز وجل لعبده أن يدخله الجنة، وأن يصرفه عن النار، وأن يصلح له أمور دينه ودنياه كلها[٤].

٤١ ـ لا يحب الله عز وجل إلا **الخلّص** من عباده **فحبهم** طاعة من الطاعات، وقربة من القرب[٥].

٤٢ ـ حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من **المعلومات التي لا تحد** وإنما **يعرفها** من قامت به وجداناً لا يمكن التعبير عنه[٦].

---

(١) الفوائد (ص: ٨٩).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٣٨).

(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٦٢).

(٤) تحفة الذاكرين (ص: ٢٨٧).

(٥) المصدر السابق (ص: ٢٨٧).

(٦) فتح الباري (١٠/٤٦٢ ـ ٤٦٣).

٤٣ ـ المحب لا يستثقل السعي في مراد محبوبه، ويستلذ خدمته بقلبه، وإن كان شاقّاً على بدنه، وكلّ حبّ قاهر لا محالة فمن كان محبوبه أحبّ إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته، وإن كان أحبّ إليه من المال، ترك المال في حبه[١].

٤٤ ـ اللذة بـالمحبوب تضعف وتقـوى بحسب قوة الحب وضعفه. فكلما كان الحب أقوى كانت اللذة أعظم. ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب شدة طلبه للماء، وكذلك الجائع وكذلك من أحبّ شيئاً كـانت لذتـه على قدر حبّـه إيّاه. **والحبّ تابع للعلم بالمحبوب ومعرفة جماله الظاهر والباطن**. فللّذة النظر إلى الله بعد لقائه بحسب قـوة حبه وإرادتـه وذلك بحسب العلم به وبصفات كماله فإذا العلم هو أقرب الطريق إلى أعظم اللذات[٢].

٤٥ ـ **لا شيء أطيب للعبد** ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه **من محبة فاطره وباريه ودوام ذكـره والسعي في مرضـاته** وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه[٣].

٤٦ ـ عـلامة المحبـة الصحيحة بـذل الـروح والمـال في مرضات المحبوب[٤].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/٨٧).
(٣) المصدر السابق (١/٨٧).
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/٤).

٤٧ ـ كونُ العبد محبوباً لله أعلى من كونه محبّاً لله، **فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله**[١].

٤٨ ـ **محبة الرب عبده فإنها تستلزم إعزازه لعبده وإكرامه إياه والتنويه بذكره وإلقاء التعظيم والمهابة له في قلوب أوليائه**[٢].

٤٩ ـ **ليس للعابدين** مستراح إلا تحت شجرة طوبى ولا **للمحبين قرار** إلا يومِ المزيد فمثّل لقلبك **الاستراحة** تحت شجرة طوبى **يهن عليك النَّصب**، واستحضر **يوم المزيد** يهن عليك ما تتحمل من أجله[٣].

٥٠ ـ كنوز الجواهر مودعة في مصر الليل **فتتبع آثار المحبين** لعلك تظفر بكنز[٤].

٥١ ـ **إقبال الليل عند المحبين** كقميص يوسف في أجفان يعقوب[٥].

٥٢ ـ **وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم**، وآخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم. فمن عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقلّ من مشاركة المذنبين في الاعتذار[٦].

---

(١) روضة المحبين (ص: ٢٧٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٩٤).

(٣) بدائع الفوائد (٣/٢١٨).

(٤) بدائع الفوائد (٣/٢١٨).

(٥) بدائع الفوائد (٣/٢١٩).

(٦) المحجة في سير الدلجة (ص: ٦٥).

٥٣ ـ متى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحلّ فيه حب المخلوق والرضى بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فاعلم أنه قد خسف به[١].

٥٤ ـ من أحبَّه الله رزقه محبَّته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته[٢].

٥٥ ـ ذكر المحبِّين على خلاف ذكر الغافلين.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ **[الأنفال: ٢]**[٣].

٥٦ ـ قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته[٤].

٥٧ ـ المحبون يستوحشون من كل شاغل يشغل عن الذكر، فلا شيء أحبّ إليهم من الخلوة بحبيبهم[٥].

٥٨ ـ المحب الصادق أحبّ شيء إليه: الخبر عن محبوبه وذكره[٦].

٥٩ ـ حياة القلب مع الله لا حياة له بدون ذلك أبداً، ومتى واطأ اللسان القلب في ذكره، وواطأ القلب مراد حبيبه منه، واستقلّ له الكثير من قوله وعمله، واستكثر له القليل من برّه ولطفه،

---

(١) بدائع الفوائد (٣/٢٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص: ٤١٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص: ٤١٩).

(٥) جامع العلوم والحكم (ص: ٤٢٠).

(٦) مدارج السالكين (٣/٣١٠).

ولازم الطاعة وفارق المخالفة، وخرج عن كلّه لمحبوبه فلم يبقَ منه شيء، وامتلأ قلبه بتعظيمه وإجلاله وإيثار رضاه، وعزّ عليه الصبر عنه، وعُدم القرار دون ذكره والرغبة إليه والاشتياق إلى لقائه، ولم يجد الأنس إلا بذكره، وحفظ حدوده، وآثره على غيره فهو المحب حقاً[1].

٦٠ ـ انفراد العبد في طريق طلبه[2] دليل على صدق المحبة[3].

٦١ ـ المحبة منتهى القربة والاجتهاد ولن يسأم المحبّون من طول اجتهادهم لله تعالى يحبونه ويحبون ذكره ويحبِّبونه إلى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم القيامة يوم تبدو الفضائح. أولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه[4].

٦٢ ـ أقرُّ شيء لعيون المحبّ خلوته بسرّه مع محبوبه[5].

٦٣ ـ الخوف يبعدك عن معصيته، والرجاء يخرجك إلى طاعته، والحبّ يسوقك إليه سوقاً. لمّا علم الله سبحانه أنّ قلوب

---

(١) روضة المحبين (ص: ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١/٦٩): «البصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرَّعيل الأول، الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً؛ فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب».

(٣) الرسالة التبوكية (ص: ٩٦).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٤٢).

(٥) روضة المحبين (ص: ٤٣٥).

المشتاقين إليه لا تهدأ إلّا بلقائه ضرب لهم أجلاً للقاء تسكيناً لقلوبهم، فقال الله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥][1].

٦٤ ــ الشوق يحمل المحبّ على العجلة في رضا المحبوب والمبادرة إليها على الفور ولو كان فيها تلفه.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٣ - ٨٤][2].

٦٥ ــ ليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية، أحلى، ولا ألذّ، ولا أطيب، ولا أسرّ، ولا أنعم[3]، من محبة الله والإقبال عليه[4]، والأنس به والشوق إلى لقائه، **والحلاوة** التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، **والنعيم** الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، **واللذة** التي تناله أعلى من كل لذة[5].

٦٦ ــ ما عند المحبين ألذّ من أوقات الخلوة بمناجاة محبوبهم هو شفاء قلوبهم ونهاية مطلوبهم[6].

---

(١) روضة المحبين (ص: ٤٣٥).

(٢) روضة المحبين (ص: ٤٣٦).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/١٩٧).

(٤) روضة المحبين (ص: ١٨٠).

(٥) إغاثة اللهفان: (٢/١٩٧).

(٦) لطائف المعارف (ص: ٥٢).

٦٧ ـ المحب لا يملّ من التقرب بالنوافل إلى مولاه، ولا يأمل إلا قربه ورضاه[١].

٦٨ ـ ليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه[٢].

٦٩ ـ المحب لا يرى طول الطريق إنما يتلمح المقصد[٣].

٧٠ ـ أول علامات المحبة دموع العين[٤].

٧١ ـ من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار. شيمة المحبة لا تخفى وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب[٥].

٧٢ ـ الزم طريق الـذكر عمرك دائباً[٦]

فـالذكـر في القلب المحبة زارع[٧].

٧٣ ـ إنما غاية المحب الوصول إلى المحبوب:

مـا للمحب سـوى المحبـوب مـطلوب

إذ قلبـه عن سوى ذكـراه محجـوب[٨].

---

(١) المصدر السابق: (ص: ٢٦٢).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣١٧).

(٣) المدهش (ص: ١٧٧).

(٤) المصدر السابق (ص: ٤٣٩).

(٥) المصدر السابق (ص: ٤٤٧).

(٦) قال ابن الجوزي رحمه الله في «التذكرة في الوعظ» (ص: ٥٩): «الذكر لله لـه شرطان: حضور القلب في تحريره، وبذل الجسـد في تكثيره. فـإن أحببت أن تكون من الراسخين الأقدام في هذا المقام، فحرر الذكر على الإحسان، وكثّره بقدر الإمكان»

(٧) التذكرة في الوعظ (ص: ٥٩).

(٨) المصدر السابق (ص: ٨٠).

٧٤ ـ **قرة عين المحب** في طاعة المحبوب[١].

٧٥ ـ النشاط للطاعة من ثمرة **المحبة**[٢].

٧٦ ـ **إعلام الحبّ في الله سبب للتحابّ من الجانبين**[٣].

٧٧ ـ **التحابّ بسبب جلال الله أفضل التحابّ**، لأن سببها أفضل الأسباب[٤].

٧٨ ـ بكاء الخلوة **إما لحب الله**، أو لخوفه، أو إجلاله[٥].

٧٩ ـ من لم يخل قلبه لله ساعة من نهار، لما احتوشه من الهموم الدنيوية وذوات **الآصار**[٦]، فليعلم أنه ليس لـه ثمّ رابطة علوية، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبية، فليبك على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه[٧].

٨٠ ـ العالي الهمة طالب لربه تعالى طلباً تاماً بكل معنى واعتبار في عمله، وعبادته ومناجاته، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وعزلته وخلطته، وسائر أحواله. فقد انصبغ قلبه بالتوجه إلى الله تعالى أيما صبغة. **وهذا الأمر إنما يكون لأهل المحبة الصادقة**[٨].

---

(١) شجرة المعارف (ص: ٧٠).

(٢) المصدر السابق (ص: ٧٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٠١).

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٥٢).

(٥) المصدر السابق (ص: ٣٥٦).

(٦) الآصار: الذنوب.

(٧) التذكرة والاعتبار (ص: ٢٧).

(٨) مدارج السالكين (٣/٥).

٨١ ـ **المحب الصادق** لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه، ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه[١].

٨٢ ـ **المحبة لا نهاية لها**، وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة، ولا نهاية لجمال المحبوب ولا بره. فلا نهاية لمحبته، بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم: كان ذلك دون ما يستحقه الرب جلّ جلاله[٢].

٨٣ ـ **الشوق إلى لقاء الله تعالى ولقائه فإنه لبّ المحبة وسرّها**[٣].

٨٤ ـ لا عبودية إلا عبودية أهل المحبة الخالصة. أولئك هم الفائزون بشرف الدنيا والآخرة. وأولئك لهم الأمن وهم مهتدون[٤].

٨٥ ـ **المحبة إذا تمكنت من العبد استكثر قليل ما يناله من محبوبه**[٥].

٨٦ ـ **الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة**، والإرادة الخالصة. فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة. وأخسّ الناس حياة أخسّهم همة وأضعفهم محبة وطلباً[٦].

---

(١) مدارج السالكين (١٢/٣).
(٢) المصدر السابق (١٦/٣).
(٣) المصدر السابق (٢٦/٣).
(٤) المصدر السابق (٣٥/٣).
(٥) المصدر السابق (٨٣/٣).
(٦) المصدر السابق (٢٦٣/٣).

٨٧ ـ علم المحبة والشوق شيء، وحال المحبة شيء آخر[١].

٨٨ ـ المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة لا تنال إلا بمحبته. ولا تنال محبته إلا بطاعته، وإيثاره على ما سواه[٢].

٨٩ ـ كلما قويت معرفة العبد لله **قويت محبته له ومحبته لطاعته**، وحصلت له لذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك[٣].

٩٠ ـ ما تلذذ المتقون بشيء في صدورهم ألذ من حب الله عز وجل، ومحبة أهل ذكره[٤].

٩١ ـ معاملة الله بالصدق، والإخلاص ومخالفة الهوى سبب لفضل الله على عبده، وأن يمنحه محبته[٥].

٩٢ ـ من علامة المحبة لله دوام الذكر بالقلب واللسان. وقلما ولع المرء بذكر الله عز وجل إلا أفاد منه حب الله عز وجل[٦].

٩٣ ـ إذا سئم البطّالون من بطالتهم، **فلن يسأم المحبون لله** من مناجاته وذكره[٧].

---

(١) مدارج السالكين (٣/٣١٠).
(٢) المصدر السابق (١/٢١٠ - ٢١١).
(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٠).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق (ص: ٥٤).
(٦) المصدر السابق (ص: ٥٥).
(٧) المصدر السابق (ص: ٦٣) بتصرف.

٩٤ ـ ولي الله المحبّ لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته[١].

٩٥ ـ لا يعطى طريق المحبة غافل ولا ساه[٢].

٩٦ ـ ما كاد يمل القربة إلى الله عز وجل محب لله عز وجل، ولا يكاد يسأم من ذلك[٣].

٩٧ ـ القلب الذي يحب الله عز وجل يحب التعب والنصب لله. إنه لن ينال حب الله بالراحة[٤].

٩٨ ـ أعلى الدرجات: أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك، وعقلك، وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئاً. فإذا كنت كذلك لم تبال في بر كنت أو في بحر، أو في سهل أو في جبل. وكان شوقك بلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عز وجل عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف[٥].

٩٩ ـ من علامات المحب لله عز وجل ترك كل ما يشغل عن الله، حتى يكون الشغل بالله وحده[٦].

---

(١) مدارج السالكين (ص ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ٦٦).

(٣) المصدر السابق (ص: ٦٥).

(٤) المصدر السابق: (ص: ٦٥).

(٥) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٧٨).

(٦) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٧٩).

١٠٠ ـ **من علامات المحبين لله** أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه. إذا سكن حب الله القلب أنس بالله، لأن الله أجلّ في صدور العارفين من أن يحبوا سواه[١].

١٠١ ـ **المحب لله** لا يجد مع حبّ الله عز وجل للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله عز وجل طرفة عين[٢].

١٠٢ ـ همم العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله، والنظر إلى وجهه في دار كرامته، والقرب منه[٣].

١٠٣ ـ المؤمن إذا آمن بالله، واستحكم إيمانه خاف الله. فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله، فإذا سكنت درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجاء، فإذا سكنت درجة الرجاء تولد من الرجاء المحبة، **فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أدّاه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأنّ إلى الله، فإذا اطمأن كان ليله في نعيم، ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلانيته في نعيم**[٤].

١٠٤ ـ مما يستحليه المحبون لله اختيارهم الذل لهم على الشرف، والخمول على الشهرة[٥].

١٠٥ ـ من امتلأ قلبه من محبة الله عز وجل أحبّ ما يحبه

---

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٧٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ٨٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ٨١).

(٤) المصدر السابق: (ص: ١٠٢ - ١٠٣).

(٥) المصدر السابق (ص: ١١١).

وإن شق على النفس وتألمت به كما يقال: **المحبة تهوّن الأثقال**[1].

١٠٦ ـ إسباغ الوضوء على المكاره من علامات المحبين[2].

١٠٧ ـ لما كانت المساجد في الأرض بيوت الله أضافها الله إلى نفسه تشريفاً لها، وتعلقت قلوب المحبين لله عز وجل بها لنسبتها إلى محبوبهم وارتاحت إلى ملازمتها لإظهار ذكره فيها قال تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧][3].

١٠٨ ـ من علامات المحبين لله: حب الخلوة بمناجاة الله تعالى وخصوصاً في ظلمة الليل[4].

١٠٩ ـ قلوب المحبين جمرة تحت فحم الليل كلما هبّ عليها نسيم السَّحَر التهبت[5].

١١٠ ـ مجالس الذكر شراب المحبين[6].

---

(١) اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٣٧).
(٢) المصدر السابق: (ص: ٣٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ٥٣).
(٤) المصدر السابق (ص: ١١٦).
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق (ص: ١١٧).

١١١ ـ من كان همه طلب محبة الله عز وجل أعطاه الله فوق ما يريده من الدنيا تبعاً[١].

١١٢ ـ المحبون إذا نطقوا نطقوا بالذكر وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر[٢].

١١٣ ـ المحب راغب في الله، والعامل راغب فيما عنده، والراضي بالدنيا من الآخرة راغب عنه. **ومن كانت رغبته في الله كفاه الله كلَّ مهمٍّ، وتولاه في جميع أموره، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات**[٣].

١١٤ ـ خلوة المحب لمحبوبه هي غاية أمنيته، فإن ظفر بها وإلا خلا به في سرّه وأوحشه ذلك من الأغيار[٤].

١١٥ ـ كل محبة لغير [الله] فهي عذاب على صاحبها وحسرة عليه إلا محبته ومحبة ما يدعو إلى محبته، ويعين على طاعته ومرضاته، فهذه هي التي تبقى في القلب يوم تبلى السرائر[٥].

١١٦ ـ المحب لربه يحب أن الناس كلهم يحبونه ويذكرونه ويعبدونه ويحمدونه، ولا شيء أقرّ لعينه من ذلك، بل هو يدعو إلى ذلك بقوله وعمله[٦].

---

(١) اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ١١٠).
(٢) المصدر السابق (ص: ١١٥).
(٣) روضة المحبين (ص: ٤٠٨).
(٤) المصدر السابق (ص: ٢٨٨).
(٥) المصدر السابق (ص: ٢٨٧).
(٦) المصدر السابق (ص: ٢٨٢).

١١٧ ـ زرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة[١].

١١٨ ـ ليس بمحب صادق من له إرادة تخالف مراد محبوبه منه[٢].

١١٩ ـ لو لم يكن للقلب المشتغل بمحبة غير الله المعرض عن ذكره من العقوبة إلا صدؤه وقسوته وتعطيله عما خلق له لكفت بذلك عقوبته[٣].

١٢٠ ـ أبعد القلوب من الله القلب القاسي، ولا يذهب قساوته إلا حبّ مقلق، أو خوف مزعج[٤].

١٢١ ـ **المحبة الخاصة** التي تشغل قلب المحب وفكره وذكره بمحبوبه ـ **هي التي تلطّف وتخفّف أثقال التكاليف، وتسخّي البخيل، وتشجّع الجبان، وتصفّي الذهن، وتروّض النفس، وتطيّب الحياة على الحقيقة... وهذه المحبة هي التي تنوّر الوجه، وتشرح الصدر، وتحيي القلب**[٥].

١٢٢ ـ كمال اللذة والفرح والسرور ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لأمرين: أحدهما: كمال المحبوب في نفسه وجماله، وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه. والأمر الثاني: كمال محبته، واستفراغ الوسع في حبه، وإيثار قربه والوصول إليه[٦].

---

(١) روضة المحبين (ص: ٢٧٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) روضة المحبين (ص: ١٨١ ـ ١٨٢).

(٤) المصدر السابق.

(٥) الجواب الكافي (ص: ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٦) الجواب الكافي (ص: ٢٨٠).

١٢٣ ـ أعظم نعيم الآخرة ولـذاتها: هـو النظر إلى وجـه الـرب جل جـلاله، وسمـاع كلامـه منه، والقـرب منه. وأعـظم الأسبـاب التي تحصّل هـذه اللذة هو أعـظم لذات الـدنيا على الإطلاق، وهو لذة معرفته سبحانه ولذة محبته. فإن ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالي، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة في بحـر. فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك فأطيب ما في الـدنيا معرفته ومحبته، وألذ ما في الجنة **رؤيته ومشاهدته**. فمحبته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلاماً وعذاباً، يبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله[١].

١٢٤ ـ المحبـة لها داعيـان: الجمال والإجـلال، والـرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك فـإنـه جميل يحب الجمال، بل الجمال كله له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه[٢].

١٢٥ ـ من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتـلاه الله بمحبة غيره[٣].

١٢٦ ـ حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده، والإنـابة إليـه، والطمـأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كلّه، ولو تعوّض عنها بما تعوض مما في الدنيا. بل ليست الدنيا بـأجمعها

---

(١) الجواب الكافي (ص: ٢٨١ ـ ٢٨٢).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٧٦).
(٣) المصدر السابق (ص: ٢١٦).

عوضاً عن هذه الحياة، فمن كل شيء يفوت العبد عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة[1].

١٢٧ ــ اللذة والفرح تابعة للمحبة في الكمال والقوة، والمحبة تابعة لمعرفة المحب بصفات المحبوب وجماله، فكلما كان العلم به أكمل كانت محبته أقوى، **وكلما كانت المحبة أقوى كانت اللذة والفرح به أكمل وأتم**[2].

١٢٨ ــ لا حياة للقلب ولا فلاح ولا لذة ولا سرور ولا نعيم إلا بالأنس بالله، والتنعم بذكره. ومنزلة ذلك من الروح منزلة الروح من البدن. فإذا فقدته الروح كانت كالبدن الفاقد لروحه، بل القلب مضطر إليه فقير إليه أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، إذ غاية ما يقدر بفوات الروح موت البدن وقد يعقبه راحة العبد. وأما إذا فات الروح والقلب الله تعالى ماتت موتاً يتضمن كل ألم، وهم، وغم، وحزن، وخوف، واضطراب.

فلو أن ما يحصل للقلب من الموت مثل موت البدن لكان في الموت راحة، ولكنه موت يتجرع صاحبه كاسات الآلام من الهموم والغموم والحسرات[3].

١٢٩ ــ الروح مفطورة على تأله فاطرها وخالقها، وهي فقيرة إليه أعظم الافتقار من جهة كونه ربها وخالقها وممسكها وحافظها وطبيبها. ومن جهة كونه إلهها، ومحبوبها ومطلوبها وغاية مناها. فهي إلى معرفة هذا المطلوب ومعرفة كماله وجماله

(١) الجواب الكافي (ص: ٩٧).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/١٤٥٥ ـ ١٤٥٦).
(٣) المصدر السابق (٤/١٣٥٤) بتصرف.

وأوصاف جلاله أشد شيء ضرورة. وكلما كانت معرفتها بذلك أوفر كانت محبتها له أقوى ما لم يعقها عائق، ويمنعها مانع من مرض يتعطّل به، أو تضعف عن نهوضها بالجدّ في طلب هذا المحبوب[1].

١٣٠ ــ لا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته. وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه[2].

١٣١ ــ محبة الشيء فرع عن الشعور به. وأعرف الخلق بالله أشدهم حباً له. فكل من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا وأهلها زهد فيهم[3].

١٣٢ ــ المحب الصادق يرى خيانة منه لمحبوبه أن يتحرك بحركة اختيارية في غير مرضاته وإذا فعل فعلاً مما أبيح له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما يتوب من الذنب، ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب مباحاته كلها طاعات فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومته وصومه واجتهاده، وهو دائماً بين سراء يشكر الله عليها وضراء يصبر عليها. **فهو سائر إلى الله دائماً في نومه ويقظته**[4].

١٣٣ ــ المحب الكامل المحبة يترضى ربه المالك له الذي

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٣٥٥).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/٨٧).
(٣) المصدر السابق (١/١٥٩).
(٤) مفتاح دار السعادة (١/١٦٠).

لا غنى له عنه ولا بدّ له منه فليس له همّ غير استرضائه لأنه لا حياة له ولا فلاح إلا في قربه ورضاه عنه، ومحبته له[1].

١٣٤ ـ **المحب الصادق** الذي قد لاحظ أعظم الأعواض وشمّر إليها، وهي قربه من الله ووصوله إليه، واشتغاله به عما سواه، والتنعم بحبّه ولذة الشوق إلى لقائه[2].

١٣٥ ـ الخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين[3].

١٣٦ ـ الخوف يتعلق بالأفعال والمحبة تتعلق بالذات والصفات. ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم ولا يلحقهم فيها خوف. ولهذا كانت **منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه**[4].

١٣٧ ـ **الوقوف عند مدح الناس وذمّهم: علامة انقطاع القلب، وخلوه من الله، وأنه لم تباشره روح محبته ومعرفته، ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه**[5].

١٣٨ ـ **غاية المحب**: أن يرضى بأحكام محبوبه عليه، ساءته أم سرته[6].

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٢٩).
(٢) المصدر السابق (ص: ٤٨٠).
(٣) المصدر السابق (١/٥١٣).
(٤) المصدر السابق (١/٥١٤).
(٥) المصدر السابق (٢/٦).
(٦) المصدر السابق (٢/٣٨).

١٣٩ ــ كـل حبّ لا يقارنـه تعظيم المحبـوب: فهو سبب للبعد عنه، والسقوط من عينه[١].

١٤٠ ــ المحب لا يقنع بشيء دون محبوبه[٢].

١٤١ ــ طريق الرضى والمحبـة: تسيّر العبـد وهو مستلق على فراشه فيصبح أمام الركب بمراحل[٣].

١٤٢ ــ معـرفة الله ومحبتـه وطاعتـه والتقرب إليـه وابتغـاء الوسيلة إليه مقصود لذاته. فهو سبحانه يستحق غاية الحب والطاعة والثناء والمجد والتعظيم لذاته ولما له من أوصاف الكمال ونعوت الجلال، وحبه والرضى به وعنه والذل له والخضوع والتعبـد هو غاية سعادة النفس وكمالها. **والنفس إذا فقدت ذلك كانت بمنزلة الجسد الذي فقـد روحه وحيـاته، والعين التي فقـدت ضوءهـا ونورها بل أسوأ حالاً من ذلك**[٤].

١٤٣ ــ الروح إذا عدمت كمالها وصلاحها في معرفة فاطرها وبارئها وكونه أحبّ شيء إليها رضاه وابتغاء الوسيلة إليه آثر شيء عندها حتى يكون اهتمامها بمحبته ومرضاته اهتمام المحب التام المحبة بمرضاة محبوبـه ـ الذي لا يجـد منه عـوضاً ـ كـانت بمنزلـة الملك الذي ذهب عنه ملكه وأصبح أسيراً في يدي أعاديه يسومونه سوء العذاب[٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٦٧).
(٢) المصدر السابق (٢/٩٩).
(٣) المصدر السابق (٢/٢٢٧).
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/١٢٣).
(٥) المصدر السابق (٢/١٢٤).

١٤٤ ـ أحبّ المحبون ربهم حباً شعروا معه أن الله معهم يراهم دائماً. فتأدبوا أدباً أصبحوا معه لا يقولون إلا أحسن القول، ولا يعملون إلا أحسن العمل، لأنهم متيقنون أن الله معهم بعلمه وإحاطته واطلاعه أينما كانوا واستحيوا من الله حق الحياء، وخافوا غضبه وإعراضه عنهم فاستقاموا كما أمروا[١].

١٤٥ ـ كل محب فهو مشتاق إلى لقاء محبوبه[٢].

١٤٦ ـ قلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله، فإذا لاحظ جلاله هابه وعظّمه، وإذا لاحظ جماله أحبّه واشتاق إليه[٣].

١٤٧ ـ متى تمكنت المحبة من القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب[٤].

١٤٨ ـ من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادات النفس والهوى[٥].

١٤٩ ـ متى بقي للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة إلا الدعوى، إنما المحب من يفنى عن هوى نفسه كله ويبقى بحبيبه[٦].

---

(١) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص: ١٤٤).
(٢) طريق الهجرتين (ص: ٣٢٨).
(٣) الفوائد (ص: ٢٣٢).
(٤) تحقيق كلمة الإخلاص (ص: ٣٤).
(٥) المصدر السابق (ص: ٣٦).
(٦) المصدر السابق (ص: ٣٧).

١٥٠ ـ إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقرّ عيونهم، ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم في الآخرة شيئاً هو أحب إليهم، ولا أقرّ لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم: من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة. ولم يعطهم في الدنيا شيئاً خيراً لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم من الإيمان به، ومحبته والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعم بذكره[1].

١٥١ ـ المحب الصادق إن تكلّم تكلّم بعلم، إذا رأى الكلام صواباً، وإذا سكت سكت بعلم إذا كان السكوت صواباً. قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه، يحبس لسانه كحبسه لعدوه ليأمن من شرّه وشرّ عاقبته[2].

١٥٢ ـ مرض القلب: أن يتعذر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك على كل شهوة. **فلو عرف العبد كلّ شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئاً، ولو نال كلّ حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله، والشوق إليه، والأنس به، فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين،** بل إذا كان القلب خالياً عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذاباً له ولا بد، فيصير معذباً بنفس ما كان منعماً به من جهتين: من جهة حسرة فوته، وأنه حيل بينه وبينه، مع شدة تعلق روحه به، ومن جهة فوت ما هو خير له

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٨).

(٢) أخلاق أهل القرآن (ص: ٧٨).

وأنفع وأدوم، حيث لم يحصل لـه، فالمحبـوب الحاصل فات، والمحبوب الأعظم لم يظفر به. **وكل من عرف الله أحبّه، وأخلص العبادة له ولا بدّ، ولم يؤثر عليه شيئاً من المحبوبات، فمن آثر شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض**، كما أن المعدة إذا اعتادت أكل الخبيث وآثرته على الطيب سقطت عنها شهوة الطيب، وتعوّضت بمحبة غيره[1].

١٥٣ ــ من صـدق في قـول: لا إلــه إلا الله، لم يحبّ سواه، ولم يرجُ سواه، ولم يخـشَ أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له من آثار نفسه وهواه، ومع هذا **فلا تظنوا أنّ المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زلّ أن يتلافى تلك الوصمة**[2].

١٥٤ ــ الوصول إلى الله نوعان: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة. فأما الوصول الدنيوي فالمراد به: أن القلوب تصل إلى معرفته، فإذا عرفته أحبته، وأنست به، فوجـدته منهـا قريبـاً ولدعائها مجيباً. وأما الوصول الأخروي: فالدخول إلى الجنة التي هي دار كرامة الله لأوليائه[3].

١٥٥ ــ المحب لا يقـطع السؤال عمن يحب ويتحسـس الأخبـار ويتنسم الـريـاح ويستـدل بـالآثـار لسلوك الـطريق إلى محبوبه[4].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٦٨).

(٢) تحقيق كلمة الإخلاص (ص: ٤٥).

(٣) المحجة في سير الدلجة (ص: ٧٨ ـ ٧٩).

(٤) المصدر السابق (ص: ٨٦).

١٥٦ ـ إذا تمكن العبد في حاله، وصار له إقبال على الله، وجمعية عليه أنس بالخلق وأنسوا به، وانبسط إليهم وحملهم على ضَلَعِهِم وبُطءِ سيرهم، فعكفت القلوب على محبته للطفه وظرفه، فإن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظَّرْفُ من القلوب، ويدفع عن صاحبه من الشرِّ، ويسهّل له ما توعّر على غيره. فليس الثّقلاء بخواصّ الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفةٍ هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة، ولطافةً وظرفاً، فترى الصادق فيها من أحلى الناس وألطفهم وأظرفهم، قد زالت عنه ثقالة النفس، وكدورة الطبع، وصار روحانياً سمائياً، بعد أن كان حيوانياً أرضياً، **فتراه أكرم الناس عِشرة، وألينهم عريكة، وألطفهم قلباً وروحاً، وهذه خاصة المحبة، فإنها تلطف وتظرف وتنظف**[1].

١٥٧ ـ السالك إذا كان محباً صادقاً طالباً لله، عاملاً على مرضاته: كان غذاؤه بالسماع القرآني، الذي كان غذاء سادات العارفين من هذه الأمة، وأبرّها قلوباً، وأصحّها أحوالاً، وهم الصحابة رضي الله عنهم[2].

١٥٨ ـ القلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة، فإذا امتلأ من محبة الله وسمع كلام محبوبه ـ أي بمصاحبته وحضوره في قلبه ـ فله من سماعه هذا شأن، ولغيره شأن آخر[3].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٩١٥).
(٢) المصدر السابق (ص: ٧٣٠).
(٣) المصدر السابق (ص: ٧٣١).

١٥٩ ـ رحل ركب المحبة على أكـوار العزائم، فصبحـوا منزل الوصل، وأنت نائم بعد[١].

١٦٠ ـ رحل ركب المحبة في ظلام الدجى، فصبّح القوم المنـزل، ونحـن عـلى غير الـطريق، وآأسفـاً مـن قلّـة الأسف، واحزناه على عدم الحزن[٢].

١٦١ ـ أصعب الأحوال المنقطعة: انقطاع الأنفـاس. فإنّ أربابها إذا صعد النفس الواحد صعّدوه إلى نحو محبوبهم، صاعداً إليه، متلبساً بمحبته والشوق إليه، فإذا أرادوا دفعه دفعوا معه نفساً آخر، فكل أنفـاسهم بالله، وإلى الله، متلبّسـة بمحبته، والشـوق إليه، والأنس به، فلا يفوتهم نفس من أنفـاسهم مع الله إلا إذا غلبهم النوم، وكثير منهم يرى في نومه: أنه كـذلك، لالتبـاس روحه وقلبه، فيحفظ عليه أوقات نومه ويقظته، ولا تستنكر هذه الحال، فإن المحبة إذا غلبت على القلب وملكته: أوجبت له ذلك لا محالة[٣].

١٦٢ ـ الفرح إنما يكـون بالـظفر بـالمحبوب وعلى قـدر محبته يفرح بحصوله له، فالفرح بالله وأسمائه وصفـاته ورسـوله وسنته وكلامه محض الإيمان وصفوته ولبه وله عبودية عجيبة وأثر في القلب لا يعبّـر عنه. وابتهـاج القلب وسـروره وفـرحـه بـالله وأسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه أفضل ما يعطاه بل هو جلّ عطاياه، والفرح في الآخـرة بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته في

---

(١) اللطف في الوعظ (ص: ٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص: ٧٨).

(٣) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٨٤١).

الدنيا، فالفرح بالوصول إلى المحبوب يكون على حسب قوة المحبة وضعفها[1].

١٦٣ ــ **القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة**، وكلما ازداد حباً ازداد قرباً. فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها، وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها، ودعت إليها، ودلّت عليها، ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها[2].

١٦٤ ــ **كما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجهه الأعلى سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته، ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به، ومحبتهم له، فإنّ اللذة تتبع الشعور والمحبة. فكلما كان المحبّ أعرف بالمحبوب، وأشدّ محبة له، كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم**[3].

١٦٥ ــ **الحبّ غدير في صحراء ليس عليه جادة فلهذا قلّ ورّاده**[4].

١٦٦ ــ إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق[5] **ولا تحملوا على النفوس فوق الطاقة إلى أن تتمكن المحبة فلها حينئذ حكمها**[6].

---

(١) الروح (ص: ٣٣٥).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٦٢٦).
(٣) إغاثة اللهفان (١/٣٣).
(٤) بدائع الفوائد (٣/٢١٨).
(٥) اقتباس من حديث أخرجه أحمد (٣/١٩٩) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٤٦).
(٦) بدائع الفوائد (٣/٢١٦ ـ ٢١٧).

١٦٧ ـ من أحبّه الله فرحمته أقرب شيء منه ومن أبغضه الله فرحمته أبعد شيء منه[١].

١٦٨ ـ المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه فلو كلّف أن ينسى ذكره لما قدر، ولو كلّف أن يكفّ عن ذكره بلسانه لما صبر[٢].

١٦٩ ـ إذا قوي حال المحب ومعرفته لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل فهو بين الخلق بجسمه، وقلبه معلّق بالمحلّ الأعلى[٣].

١٧٠ ـ شأن كلّ عبد من عباد الله إذا ازداد قرباً إلى الله وصار من المحبوبين له، **أن يزداد خضوعاً له وتضرعاً إليه، وتذللاً وتمسكناً وعبادة**. وكلّما ارتفع عند ربّه درجة زاد فيما يحبّه الله منه درجات. **هذا شأن العبودية**[٥].

١٧١ ـ لمّا أحبّ المحبّون «**أُحِبّوا، ولمّا أخلصوا استخلصوا. فصفت منهم السرائر. فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم، ولا يستوحش أنيسهم. قد نالوا مطالبهم برفع أكفهم**

---

(١) بدائع الفوائد (١٧/٣).
(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٤١٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ٤٢٠).
(٤) طريق الهجرتين (ص: ٣١٤).
(٥) قطر الولي (ص: ٤٨٦).

إلى خالقهم، لا يحتاجون إلا إليه ولا يعوّلون إلا عليه»[1].

١٧٢ ـ ليس بعد الظفر بمحبة الله سبحانه لعبده شيء[2].

١٧٣ ـ النعيم الذي لا ينفد هو طاعة الله وذكره ومحبته والأنس به والشوق إلى لقائه[3].

١٧٤ ـ لا تقر عين المؤمن في الدنيا إلا بالله عز وجل وذكره ومحبته والأنس به. ومن قرّت عينه بالله فقد حصلت له قرة العين التي لا تنقطع في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، وقرّت به عيون المؤمنين[4].

١٧٥ ـ لا توصف المحبة ولا تحدّ بحدٍّ أوضح من المحبة، ولا أقرب إلى الفهم من لفظها[5].

---

(١) قطر الولي (ص: ٤٨٣ ـ ٤٨٤).
(٢) المصدر السابق (ص: ٣٨٩).
(٣) شرح حديث عمّار بن ياسر (ص: ٣٤).
(٤) المصدر السابق (ص: ٣٦).
(٥) طريق الهجرتين (ص: ٣١٤).

الدعاء بالمحبة

عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أتاني ربي في أحسن صورة** - يعني في المنام - فذكر الحديث وقال في آخره: قال: سل، قلت: **اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفّني غير مفتون، وأسألك حبَّك، وحبَّ من يُحبُّك، وحبّ عملٍ يقرّب إلى حبّك»**.

قال رسول الله ﷺ: **«إنها حقٌ فادرسوها ثم تعلموها»**[1].

هذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها.

فقوله ﷺ: «أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات» يتضمن طلب كلّ خير وترك كل شر. فإنّ الخيرات تجمع كل ما يحبّه الله تعالى ويقرّب منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات. والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى ويباعد عنه من الأقوال والأعمال. فمن حصل له هذا المطلوب حصل له

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٤٣) والترمذي (٣٢٣٥) وقال: «حسن صحيح»، سألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال: «حسن صحيح».

خير الدنيا والآخرة. وقد كان النبي ﷺ يحب مثل هذه الأدعية الجامعة. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: **«كان النبي ﷺ يستحبّ الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك»**[1].

وقوله: «وحب المساكين» هذا قد يقال إنه من جملة فعل الخيرات، وإنما أفرده بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به كما أفرد أيضاً ذكر حب الله تعالى وحب من يحبه وحب عمل يبلغه إلى حبّه وذلك أصل فعل الخيرات كلها.

وقد يقال: إنه طلب من الله عز وجلّ أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح، وترك المنكرات بالجوارح، وأن يرزقه ما يوجب له ذلك وهو حبه وحب من يحبه وحب عمل يبلغه حبه.

فهذه المحبة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح، ولترك المنكرات بالجوارح وسأل الله تعالى أن يرزقه المحبة فيه.

فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله عز وجل وحبّ أحبابه، وحب الأعمال التي تقرّب من حبه والحب فيه. وذلك يقتضي الخيرات كلها، ويتضمن ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله. فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا، وتضمن سؤال المغفرة والرحمة، وذلك يجمع خير الآخرة كله. **فجمع هذا الدعاء خيري الدنيا والآخرة.**

والمقصود: أن حب المساكين أصل الحبّ في الله تعالى لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله فلا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢) وجوّد النووي إسناده في «الرياض» (ص: ٥٥٢).

يُحَبُّون **إلا لله عز وجل**. والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحبّ في الله، والبغض في الله**»[1].

قوله ﷺ: «وأن تغفر لي وترحمني» المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كلّه لأنّ المغفرة ستر الذنب مع وقاية شره. وقد قيل إنه لا تجتمع المغفرة مع عقوبة الذنب حيث كانت المغفرة وقاية لشر الذنب وهذا لا يكون مع عقوبة عليه. ولذلك سمي المغفر مغفراً لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو فإنه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها.

وأما الرحمة فهي دخول الجنة وعلو درجاتها، وجميع ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات ومن رضى الله عز وجل وقربه ومشاهدته فإنه من رحمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: «**إن الله عز وجل يقول للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي**»[2].

فكل ما في الجنة فهو من رحمة الله عز وجل وإنما تنال برحمته لا بالعمل كما قال ﷺ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[3].

---

(١) انظر تخريج الحديث في «السلسلة الصحيحة» (١٧٢٨).

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٨/١٥١).

(٣) تقدّم تخريجه.

وقوله ﷺ: «وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون» المقصود من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإن قدّر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية. فإنّ المؤمن إذا عاش سليماً من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله.

قوله ﷺ: «وأسألك حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ عمل يقرّب إلى حبّك» هذا الدعاء يجمع كل خير، فإنّ الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ عنها محبة وإرادة، فإن كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه فأحبّ ما يحبّه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها ففعل حينئذ الخيرات كلها، فترك المنكرات كلها وأحبّ من يحبه الله من خلقه.

ومحبة الله تعالى على درجتين إحداهما: واجبة وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات وكراهة ما يكرهه من المحرمات. فإنّ المحبة التامة تقتضي الموافقة لمن يحبه في محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، خصوصاً فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه، فلا تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبوب من محبيه وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبيه. . .

ومتى أخلّ العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه غير تامة، فالواجب عليه المبادرة بالتوبة والاجتهاد في تكميل المحبة المقتضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها، وهذا معنى قول النبي ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو**

مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[1].

فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه الله عز وجل والعمل بمقتضى ذلك، فلا يرتكب أحد شيئاً من المحرمات أو يخلّ بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه.

الدرجة الثانية من المحبة: درجة المقربين، وهي أن يمتلىء القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل والاجتهاد فيها وكراهة المكروهات والانكفاف عنها والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب.

ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال وكراهة ما يكرهه من ذلك سأل النبي ﷺ الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين أحدهما: محبة من يحب ما يحبه الله تعالى، فإن من أحب الله أحبّ أحباءه فيه ووالاهم وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**»[2].

وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله وأعظمهم

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣١٧ و ٣٨٦) والبخاري (٢/٥٨ - ٥٩ و ٥/١١٩ و ١٠/٣٠) ومسلم (١/٥٥) والنسائي (٨/٦٤ - ٦٥) وابن ماجه (٣٩٣٦).

(٢) تقدم تخريجه.

نبيه محمد ﷺ الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصفة محبته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ﷺ ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤]. ووصف المحبين له باللين للمؤمنين والرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم والشدة على الكافرين والبغض لهم والجهاد في سبيله فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[المائدة: ٥٤].

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه. **وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه. فإذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبّه الله تعالى ورقّاه إلى درجة محبته** كما في الحديث الإلهي الذي خرّجه البخاري: «**وما تقرّب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**»[1].

فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات وترك المحرمات[2].

---

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) اختيار الأولى (ص: ٧٩ - ١١٤).

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً عليه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين.

اللهم إنا نسألك حُبَّك وحبَّ من يُحبُّك وحبَّ عملٍ يقرِّب إلى حبِّك.

وبعد... فإن الله عز وجل غفور ودود[1] «فهو الوادّ لأنبيائه وملائكته وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبّة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «روضة المحبين» (ص: ٦٢ - ٦٣): «**الودود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المودّة، واختلف فيه على قولين: فقيل: هو ودود بمعنى وادٍّ... وقيل: بل هو بمعنى مودود وهو الحبيب، وبذلك فسره البخاري في «صحيحه»، فقال: الودود الحبيب، والأول أظهر لاقترانه بالغفور في قوله:**
﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤].
وبالرحيم في قوله:
﴿إن ربي رحيم ودود﴾ [هود: ٩٠].
وفيه سرّ لطيف وهو أنه يحبّ التوابين وأنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبّه كما قال: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** [البقرة: ٣٢٢].
فالتائب حبيب الله، فالودّ أصفى الحب وألطفه».

أصلها ولا في كيفيتها ولا في متعلّقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة كل محبة ويتعيّن أن تكون المحابّ تبعاً لها»[1].

ومحبة الله «**هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، وغذاؤها، ودواؤها، بل حياتها وقرَّة عينها**»[2]، «**وهي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله**.

ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته فهو تعالى الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبب، ليس المقصود منها المعاوضة وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد»[3].

وهو الودود يحبّهم ويحبُّه
أحبابه والفضل للمنّان
وهو الذي جعل المحبة في قلـ
ـوبهم وجازاهم بحبٍّ ثان
هذا هو الإحسان حقاً لا معا
وضة ولا لتوقع الشكران

---

(١) الحق الواضح (ص: ٦٩).
(٢) زاد المعاد (٢/٢٥).
(٣) الحق الواضح (ص: ٦٩).

لكن يحب شَكورهم وشُكورهم
لا لاحتياج منه للشكران[1].

فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل يُنمِّيها ويقوِّيها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة **تتضاءل عندها جميع المحابّ، وتسلّيهم عن الأحباب، وتهوّن عليهم المصائب، وتلذذ لهم مشقة الطاعات، وتثمر لهم ما يشاؤون من أصناف الكرامات التي أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.**

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه: فمحبة قبلها صار بها محبّاً لربه، ومحبة بعدها شكراً من الله على محبة صار بها من أصفيائه المخلصين[2].

فلا عيش إلا عيش المحبين الذين قرّت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه، وتنعّموا بحبه[3].

ففي القلب شعث: لا يلمه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة: لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

وفيه حزن: لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

وفيه قلق: لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

---

(١) الحق الواضح (ص: ٦٨).
(٢) الحق الواضح (ص: ٦٩ - ٧٠).
(٣) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٦٠٣).

وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه وملازمة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.

وفيه فاقة: لا يسدّها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسدَّ تلك الفاقة منه أبداً[1].

وبالجملة: **فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعّم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن[2] إلا بمعرفة الله ومحبته، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلى لقائه[3] والإقبال عليه والإنابة إليه، ولا يلمّ شعثه بغير ذلك البتة**، ومن لم يظفر بذلك: فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات[4].

ولو فرضت لذات أهل الدنيا بأجمعها حاصلة لرجل، لم يكن لها نسبة إلى لذة جمعية قلبه على الله، وفرحه به، وأنسه بقربه وشوقه إلى لقائه[5].

فاحرص على أن يكون همك واحداً، وأن يكون هو الله وحده، فهذا غاية سعادة العبد[6].

وأيُّ حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت

---

(١) مدارج السالكين (٣/١٦٤) بتصرف يسير.
(٢) إغاثة اللهفان (٢/١٩٨).
(٣) مدارج السالكين (١/٤٥٤).
(٤) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٦٠٣).
(٥) مدارج السالكين (٣/١٦٣).
(٦) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣١).

هماً واحداً في مرضاة الله؟ ولم يتشعّب قلبه، بل أقبل على الله واجتمعت إرادته وأفكاره ـ التي كانت منقسمة بكل واد منها شعبة ـ على الله، فصار ذكره بمحبوبه الأعلى وحبه والشوق إلى لقائه والأنس بقربه هو المستولي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بكل خطرات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يتحرّك، وبه يسكن، وبه يحيى، وبه يموت، وبه يبعث[1].

وصاحب هذا الحال في جنة معجّلة قبل جنة الآخرة، وفي نعيم عاجل[2].

وإنما يصدِّق بهذه الأمور من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحشك ثم فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنّك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك، وترحَّل عنه بقلبك، وفارقه بسرِّك، ولا تشتغل به عمّا هو أولى بك.

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجرُّ عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك وشتات قلبك، وضعف عزيمتك، وتفرّق همّك.

فإذا بليت بهذا ـ ولا بدّ لك منه ـ فعامل الله تعالى فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرَّب إلى الله تعالى بمرضاته فيه،

---

(١) الجواب الكافي (ص: ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) رسالة إلى كل مسلم (ص: ٣١).

واجعل اجتماعك به متجراً لك، لا تجعله خسارة، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل أوقفه عن سيره، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به، فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع، فلا تقف معه بل اركب الدرب، ودعه ولا تلتفت إليه، فإنه قاطعُ الطريق ولو كان من كان، فانج بقلبك، وضنَّ بيومك وليلتك لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة، فتؤخذ أو يطلع عليك الفجر وأنت في المنزلة، فتسير الرفاق فتصبح وحدك، وأنّى لك بلحاقهم[1].

وما أصعب هذا وأشقّه على النفوس، وإنه ليسير على من يسرّه الله عليه. فبين العبد وبينه أن يَصْدُق الله تبارك وتعالى، ويديم اللجأ إليه، ويلقي نفسه على بابه طريحاً ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان[2].

وفي الختام فإنَّ «**وجود الحبّ في القلب وترك الكلام علماً خير من كثرة الكلام في هذه المسألة وخلوّ القلب منها. وخير من الرجلين من امتلأ قلبه منها حالاً وذوقاً، وفاضت على لسانه إرشاداً وتعليماً ونصيحة للأمة. فهذا حال الكمّلة من الناس والله المسؤول من فضله وكرمه**»[3].

جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الوابل الصيب (ص: ٩٨ ــ ٩٩).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٥٦).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٣١٤).



الفهارس

فهرس المصادر

* **الإبانة عن أصول الديانة**: أبو الحسن الأشعري، مكتبة دار البيان - دمشق.
* **الأدب المفرد**: محمد بن إسماعيل البخاري، دار مكتبة الحياة - بيروت.
* **الأذكار النووية**: محيي الدين النووي، دار الملاح - دمشق.
* **الأسماء والصفات**: البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى**: ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
* **إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد**: عبدالعزيز السلمان.
* **أخلاق أهل القرآن**: الآجري، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.
* **استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس**: ابن رجب الحنبلي، المكتب الإسلامي - بيروت.
* **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: ابن قيم الجوزية، دار الجيل - بيروت.
* **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة - بيروت.
* **بدائع الفوائد**: ابن قيم الجوزية، دار الفكر - بيروت.
* **بغية الإنسان في وظائف رمضان**: ابن رجب الحنبلي، المكتب الإسلامي - بيروت.

* **التبصرة**: أبو الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **التذكرة في الوعظ**: ابن الجوزي، دار المعرفة ـ بيروت.
* **التذكرة والاعتبار**: ابن الشيخ الحزامين، مكتبة ابن الجوزي ـ الأحساء.
* **التمهيد**: ابن عبدالبر، مؤسسة قرطبة.
* **تحقيق كلمة الإخلاص**: ابن رجب الحنبلي، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
* **تحفة الذاكرين بعدّة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**: محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **تحفة المودود بأحكام المولود**: ابن قيّم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **الترغيب والترهيب**: المنذري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
* **التسهيل لعلوم التنزيل**: ابن جزيّ الكلبي، دار الفكر ـ بيروت.
* **تقريب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ـ بيروت.
* **تلبيس إبليس**: أبو الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **تهذيب مدارج السالكين**: عبدالمنعم صالح العلي العزّي، دار الوفاء ـ مصر.
* **التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجلّ**: محمد بن إسحاق بن خزيمة، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: ابن الأثير الجزري، مكتبة دار البيان، دمشق.
* **جامع البيان في تفسير القرآن**: ابن جرير الطبري، دار المعرفة ـ بيروت.
* **جامع الترمذي**: أبو عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

* **الجامع الصحيح**: مسلم بن الحجاج، دار المعرفة - بيروت.
* **جامع العلوم والحكم**: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت.
* **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **جند الله ثقافة وأخلاقاً**: سعيد حوّى، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**: عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي، دار ابن القيم - الدمّام.
* **حادي الأرواح**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **خلق أفعال العباد**: محمد بن إسماعيل البخاري، الدار السلفية - الكويت.
* **رسالة إلى كل مسلم**: ابن قيم الجوزية، دار الفتح - مصر.
* **الرسالة التبوكية**: ابن قيم الجوزية، إدارات البحوث العلمية - الرياض.
* **الروح**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي - بيروت.
* **زاد المعاد في هدي خير العباد**: ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة - بيروت.
* **الزهد والرقائق**: عبدالله بن المبارك، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **سبل السلام شرح بلوغ المرام**: محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
* **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

* **سنن ابن ماجه**: محمد بن يزيد القزويني، المكتبة العلمية ـ بيروت.
* **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **سنن الدارمي**: الدارمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **السنن الكبرى**: البيهقي، دار المعرفة ـ بيروت.
* **سنن النسائي**: أحمد بن شعيب النسائي، دار القلم ـ بيروت.
* **شجرة المعارف**: العز بن عبدالسلام، دار الطباع ـ دمشق.
* **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة ـ بيروت.
* **شرح حديث عمار بن ياسر**: ابن رجب الحنبلي، مكتبة السوادي ـ جدة.
* **صحيح ابن خزيمة**: محمد بن إسحاق بن خزيمة، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
* **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
* **صحيح مسلم بشرح النووي**: محيي الدين النووي، دار الفكر ـ بيروت.
* **الصواعق المرسلة**: ابن قيم الجوزية، دار العاصمة ـ الرياض.
* **الصلاة وحكم تاركها**: ابن قيم الجوزية، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
* **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين**: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
* **عمل اليوم والليلة**: ابن السني، دار المعرفة ـ بيروت.
* **عمل اليوم والليلة**: النسائي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
* **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلاني، جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض.
* **فقه السنة**: سيد سابق، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

* **الفوائد**: ابن قيم الجوزية، دار النفائس ـ بيروت.
* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: عبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة ـ بيروت.
* **قطر الولي على حديث الولي**: الشوكاني، دار الكتب الحديثة ـ مصر.
* **كشف الأستار عن زوائد البزّار**: نور الدين الهيثمي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
* **لطائف المعارف**: ابن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان، مكتبة المعارف ـ الرياض.
* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.
* **مجموع الفتاوى**: أحمد بن تيمية، إدارات البحوث العلمية ـ الرياض.
* **المحجة في سير الدلجة**: ابن رجب الحنبلي، دار البشائر ـ بيروت.
* **مختصر منهاج القاصدين**: ابن قدامة المقدسي، مكتبة دار البيان ـ دمشق.
* **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
* **مسائل الإمام أحمد**: أبو داود السجستاني، دار المعرفة ـ بيروت.
* **المستدرك على الصحيحين**: الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
* **مسند أبي عوانة**: يعقوب بن إسحاق الإسفرائني، دار المعرفة ـ بيروت.
* **مسند أبي يعلى**: أحمد بن علي بن المثنى التميمي، دار المأمون للتراث ـ دمشق.
* **مسند الإمام أحمد**: أحمد بن حنبل، دار صادر ـ بيروت.
* **معالم التنزيل**: الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة ـ بيروت.
* **مفتاح دار السعادة**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

* **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**: نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
* **النهاية في غريب الحديث**: ابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية - بيروت.
* **الهداية لأسباب السعادة**: عبدالله بن جار الله بن إبراهيم، إدارات البحوث العلمية - الرياض.
* **الوابل الصيّب من الكلم الطيّب**: ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان - دمشق.



فهرس الموضوعات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



المحبة شجرة في القلب، عروقها الذلُّ
للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته
وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته
ومادتها التي يسقيها ذكره، فمتى
خلا الحبُّ عن شيءٍ من ذلك
كان ناقصًا.